سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (35) | 20 / 5 /2012

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

إعدامات ميدانية تحت جنح الظلام في حمص واشتباكات وشهداء في درعا وإدلب والرستن

استشهد 15 شخصا بينهم إمام مسجد في "إعدامات ميدانية" بأيدي قوات النظام بعد اقتحامها حيا بمدينة حمص وسط سوريا، بحسب ما أفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان.

وذكر المرصد في بيان أن 15 شخصا؛ بينهم امرأة ورجل دين، استشهدوا في حي الشماس بمدينة حمص "خلال إعدامات ميدانية في مجزرة جديدة من مجازر النظام السوري".

وأوضح مدير المرصد رامي عبد الرحمن في اتصال هاتفي مع وكالة الصحافة الفرنسية أن قوات الأمن السورية كانت "اقتحمت قبل منتصف الليل حي الشماس في حمص وبدأت حملة اعتقالات ومداهمات شملت ثمانين شخصا".

وقال إن هذه القوات بدأت تنفيذ "الإعدامات الميدانية" بعد منتصف الليل، مشيرا إلى اقتياد الشيخ مرعي زقريط، إمام مسجد أبو هريرة، من منزله والعثور عليه مقتولا "في منزل مهجور".

وأكد عبد الرحمن أن الشيخ زقريط "معروف بأنه من دعاة التعايش والوحدة الوطنية، وهو محبوب من السنة والعلويين والمسيحيين في المنطقة، وناشط في مجال العمل الخيري". والشيخ زقريط له ستة أطفال، وهو في الثالثة والأربعين من العمر.

من جهتها، أعلنت لجان التنسيق المحلية أن 35 شخصا استشهدوا إثر الاشتباكات والعمليات العسكرية المستمرة للقوات النظامية في معظم المحافظات السورية وبالتحديد في درعا وإدلب وحمص والحسكة. ويأتي ذلك غداة مقتل نحو سبعين شخصا يوم الثلاثاء بحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان التي أعلنت أيضا عن أنها وثقت أكثر من 505 نقاط خرق لمبادرة المبعوث الأممي العربي كوفي أنان بإطلاق نار مباشر على المتظاهرين وقصف مدفعي واقتحامات من قبل قوات الجيش السوري، مما أدى إلى وقوع العديد من القتلى والجرحى واعتقال العشرات.

وقال المرصد السوري لحقوق الإنسان إن خمسة أشخاص قتلوا جراء إطلاق نار من رشاشات ثقيلة على مدينة خان شيخون في ريف إدلب، موضحا أن الشهداء هم طفل ورجل وثلاثة مقاتلين من المجموعات المسلحة المنشقة.

وقال الناشط أبو همام من خان شيخون: "لم ننم منذ أمس، وكنا نسمع أصوات القصف وإطلاق النار طيلة الليل"، وذكر أن "القصف توقف بين الخامسة والسابعة صباحا، ثم استؤنف"، وأن الناس في المناطق التي تعرضت للقصف "كانوا خائفين وحاولوا الفرار إلى أحياء أكثر أمنا".

وأوضح المرصد السوري أن أربعة أشخاص بينهم طفلة استشهدوا إثر إطلاق نار من رشاشات ثقيلة من قبل القوات النظامية السورية على مخيم النازحين في مدينة درعا. وأشار المرصد إلى سماع أصوات انفجارات وإطلاق نار كثيف في المدينة.

كما تحدث ناشطون عن استشهاد شاب إثر إطلاق الرصاص خلال حملة مداهمات واعتقالات نفذتها القوات النظامية في قرية مليحة العطش بمحافظة درعا وشملت ستة أشخاص على الأقل.

وذكر المرصد أن مدينة إنخل في المحافظة نفسها تعرضت لإطلاق نار من رشاشات ثقيلة وقذائف من القوات النظامية، تبعته حملة مداهمات، مشيرا إلى مقتل ضابط من القوات النظامية في اشتباكات بالمدينة.

وفي محافظة حمص، كشف ناشطون لـ"الشرق الأوسط" أن عضو المجلس الوطني عمر إدلبي والناشطين هادي العبد الله وأبو جعفر الحمصي وسليم قباني نجوا من كمين نصبه لهم عناصر الأمن في مدينة حمص. قال الناشطون إنهم أصيبوا بجراح طفيفة وإنهم بخير.

وبالتزامن، أفادت لجان التنسيق المحلية أن مواطنا على الأقل قتل جراء القصف الذي تتعرض له مدينة الرستن منذ أيام، فيما تحدث المرصد السوري عن "سقوط قذيفة كل دقيقتين"، علما بأن الرستن التي تعتبر أحد معاقل الجيش السوري الحر، تعرضت لمحاولة اقتحام الاثنين، قتل فيها 23 جنديا نظاميا. كما تعرضت لقصف شبه متواصل خلال الأيام الماضية تسبب في سقوط عدد من القتلى والجرحى.

ومن ريف دمشق، وبالتحديد من مدينة دوما، تحدث محمد السعيد لـ"الشرق الأوسط" عن انتشار للأمن في عدة مناطق وحملة اعتقالات عشوائية تنفذها قوات الأمن في المدينة، لافتا إلى أن حملة مداهمات شرسة منذ الأسبوع الماضي ولا تزال مستمرة على مزارع الريحان كافة، وقال: "يتم نصب حواجز وبشكل لافت في المدينة، كما تجري اعتقالات عشوائية للمزارعين، علما بأنه تم احتلال أحد المعامل في المنطقة حيث يتم أسر المعتقلين".

وفي الغوطة الشرقية بريف دمشق، قالت لجان التنسيق المحلية إن قوات الأمن اقتحمت بلدة دير العصافير وسط إطلاق نار كثيف، كما اقتحمت قوات أخرى بلدة حتيتة التركمان.

النظام يفرج عن بعض معتقلي الرأي.. ومصير آخرين لا يزال مجهولا

بينما أفرجت أجهزة الأمن السورية عن عدد من معتقلي الرأي، بينهم معاذ الخطيب والدكتور جوزيف نخلة وبسام ووسام سارة، ابنا الكاتب والمعارض السوري فايز سارة، خلال الأيام الأخيرة، أعربت «لجان التنسيق المحلية» في سوريا عن مخاوفها حول مصير الصحافي المعتقل جهاد جمال، الذي عرف بتغطيته لأخبار الثورة السورية واعتقل لأشهر عدة، مشيرة إلى أن «أنباء تواردت مؤخرا عن تردي وضعه الصحي، مع استمراره في الإضراب عن الطعام احتجاجا على اعتقالة التعسفي».

وكان جمال، المعروف بميلان، قد اعتقل للمرة الرابعة على التوالي من مقهى نينار في دمشق في السابع من مارس (آذار) الماضي من قبل «فرع فلسطين العسكري»، قبل أن ينقل مؤخرا وفق «لجان التنسيق» إلى «الفرع العسكري رقم 248 وفقا لمعتقلين مفرج عنهم». وبدأ إضرابا مفتوحا عن الطعام يوم الثلاثاء الماضي، الأمر الذي أدى إلى تدهور متزايد في حالته الصحية.

وأشار المعارض والناشط السياسي خليل الحاج صالح إلى أن «النظام السوري لا يزال يلاحق الصحافيين وأصحاب الرأي الحر وكل من يعبر عن آرائه أو يسهم في نقل حقيقة ما يجري داخل سوريا»، واضعا هذه الممارسات في إطار «سياسة عامة ومنهجية يتبعها النظام السوري». وأوضح لـ«الشرق الأوسط» أن الأخير «حتى قبل الثورة السورية، هو من أشد الأنظمة الديكتاتورية تقييدا للحريات العامة والخاصة، وتحديدا حرية التعبير».

وقال صالح، وهو أحد الناطقين الرسميين باسم «لجان التنسيق المحلية» في سوريا «أكاد لا أعرف أحداً من زملائي الناشطين في مجال الكتابة والرأي والنشاط المدني السلمي، إلا وتعرض للملاحقة والاعتقال والتعذيب في سجون النظام السوري»، مذكرا بقضيتي رئيس «المركز السوري للإعلام وحرية التعبير» مازن درويش «الذي لا يزال معتقلا ولا نعرف شيئا عن وضعه راهنا»، والمفكر الفلسطيني سلامة كيلة الذي اعتقل وتم تعذيبه بعد توقيف رجل يحمل نشرة «اليساري» قال إنه حصل عليها من كيلة وتم ترحيله بشكل قسري إلى الأردن.

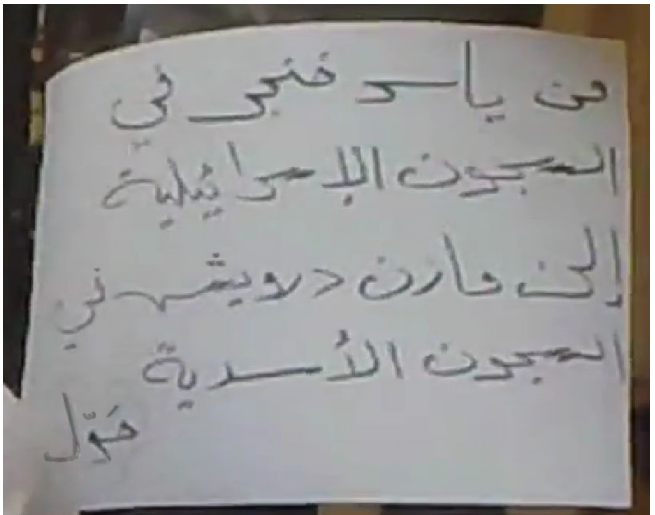

وكانت أجهزة الأمن السورية قد أفرجت في الأيام الأخيرة عن عدد من معتقلي الرأي، بينهم معاذ الخطيب والدكتور جوزيف نخلة وبسام ووسام سارة، ابنا الكاتب والمعارض السوري فايز سارة. وكتب الأخير على صفحته على «فيس بوك»: «شكرا صديقاتي، رفاقي، أصدقائي لتضامنكم مع عائلتي ومعي خلال اعتقال ولدي بسام ووسام، الآن هما طليقان وسط عائليتهما، وهو أمل ننتظره لكل معتقل في أن يكون حرا وسط عائلته وأهله وأصدقائه، آملين أن نرى سوريا حرة في أقرب وقت».

وأخلى القضاء سبيل عناصر المركز السوري للإعلام وحرية التعبير الذين سبقت إحالتهم للقضاء وهم يارا بدر وهنادي زحلوط ورزان غزاوي وميادة خليل وسناء زيناني وأيهم غزول وبسام الأحمد وجوان فرسو، فيما لا يزال مصير معتقلين آخرين مجهولا، ومنهم مازن درويش وحسين غرير وعبد الرحمن حمادة ومنصور العلي وهاني زيتاني، وطل الملوحي، وماري عيسى، والدكتور أحمد الكردي والدكتور جلال نوفل.

القضاء السوري يحكم بالإعدام على الناشط محمد الحريري بتهمة الخيانة العظمى

أعلنت منظمة حقوقية الجمعة أن القضاء السوري أصدر حكماً بالإعدام بحق الناشط محمد عبد المولى الحريري، المعتقل منذ 16 نيسان، بعد تجريمه بجناية "الخيانة العظمى" معتبرة الحكم "باطلاً" لاستناده إلى اعترافات انتزعت منه "تحت التعذيب الوحشي".

وذكرت الرابطة السورية للدفاع عن حقوق الإنسان في بيان تلقت فرانس برس نسخة عنه "أن القضاء العسكري السوري أصدر حكما بالإعدام بحق الناشط الإعلامي المهندس محمد عبد المولى الحريري بعد تجريمه بجناية الخيانة العظمى والتعامل مع جهات أجنبية".

ونقل الحريري إلى سجن صيدنايا العسكري تمهيدا لتنفيذ الحكم، بحسب البيان.

وأدانت الرابطة "بأقوى العبارات الحكم الجائر" الذي صدر بحق الحريري لافتة إلى انه "لم يحظ بالحد الأدنى من شروط المحاكمة العادلة والحصول على المساعدة القانونية المنصوص عليها في الدستور السوري والاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان التي انضمت إليها سوريا".

واعتبرت الحكم "باطلا ويستند إلى اعترافات تم انتزاعها تحت التعذيب الوحشي وفي ظروف غير إنسانية قاهرة" بحسب البيان.

ولفتت المنظمة الحقوقية السورية في بيانها إلى أن الحريري اعتقل مباشرة بعد "انتهاءه من تقديم مداخلة تلفزيونية مع قناة الجزيرة الإخبارية نقل من خلالها الوضع المتأزم إنسانيا وأمنيا في محافظة درعا".

وأكدت الرابطة انه تعرض "منذ اللحظات الأولى لاعتقاله إلى تعذيب وحشي أدى إلى كسر ظهره في اليوم الأول لاعتقاله" لافتة إلى أن أجهزة الأمن تابعت التحقيق معه وهو "بحالة شلل نصفي" ممتنعة عن "تقديم المساعدة الطبية اللازمة له".

وأشار بيان المنظمة إلى أن الحريري (مواليد ريف درعا 1975) مجاز في الهندسة من جامعة دمشق وأهم الناشطين الميدانيين في محافظة درعا عبر تنظيمه للتظاهرات السلمية ومشاركته بتقنيات البث المباشر وتصوير التظاهرات وتنزيلها على شبكات التواصل الاجتماعي، لافتا إلى انه كان يتواصل دائما باسمه الحقيقي مع الوسائل الإعلامية.

وطالبت الرابطة السلطات السورية بوقف تنفيذ هذا الحكم "الجائر" محملة إياها "المسؤولية الكاملة عن سلامة الناشط".

كما جددت دعوتها للمجتمع الدولي "بضرورة التدخل العاجل لوضع حد لكافة أعمال العنف والقتل والتعذيب وأعمال الاختفاء القسري التي تقوم بها السلطات السورية عبر أجهزتها الأمنية و ميليشياتها المسلحة" ضد السوريين.

ولفتت إلى أن هذه الأعمال "تصاعدت بشكل لافت خلال الأشهر الأخيرة وتم تصنيفها في معظم الحالات كجرائم ضد الإنسانية تستوجب ملاحقة ومحاسبة المسؤولين عن ارتكابها أمام القضاء الدولي المختص".

الأمم المتحدة تحقق في تصدير أسلحة كورية الشمالية لسوريا

قالت لجنة تابعة للأمم المتحدة تضم خبراء وتراقب تنفيذ العقوبات على كوريا الشمالية في تقرير سري اطلعت عليه "وكالة أنباء رويترز" إنها تفحص تقارير عن صفقات سلاح محتملة بين بيونجيانج وسوريا وميانمار.

وقالت اللجنة في التقرير الذي قدم إلى لجنة عقوبات كوريا الشمالية "استمرت كوريا الشمالية بهمة في تجاهل العقوبات الواردة في قرارات (الأمم المتحدة)".

وقال التقرير "لم تبلغ دول أعضاء اللجنة عن أي انتهاكات تنطوي على نقل مواد نووية أو مواد أخرى متصلة بأسلحة الدمار الشامل أو صواريخ ذاتية الدفع. لكنها أبلغت عن عدة انتهاكات أخرى منها مبيعات غير مشروعة لأسلحة ومواد ذات صلة وسلع كمالية".

وتتسم تقارير فريق خبراء الأمم المتحدة عن العقوبات بحساسية شديدة. وقال مبعوثون في الأمم المتحدة إن الصين التي ورد اسمها في التقرير بوصفها نقطة عبور للشحنات الكورية الشمالية غير المشروعة المتصلة بالأسلحة منعت من قبل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة من نشر مثل هذه التقارير وقد تفعل هذا مع أحدث تقرير.

وقال تقرير الخبراء "مع أن العقوبات لم تجعل كوريا الشمالية توقف أنشطتها المحظورة فإنها فيما يبدو أبطأتها وجعلت الصفقات غير المشروعة أكثر صعوبة واشد تكلفة".

وكانت لجنة العقوبات في مجلس الأمن الدولي قد تلقت تقريرا عن إحدى القضايا التي تتعلق بالاشتباه بتجارة أسلحة غير مشروعة مع سوريا الشهر الماضي.

وذكر التقرير أن "فرنسا أبلغت اللجنة في ابريل أنها فحصت وصادرت في نوفمبر 2010 شحنة غير مشروعة لمواد لها علاقة بالأسلحة يرجع أصلها إلى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وكانت متجهة إلى سوريا".

وقالت لجنة الخبراء أنها لم تستطع إثبات أن كوريا الشمالية مستمرة في التعاون بشأن الصواريخ ذاتية الدفع مع إيران وسوريا وبلدان أخرى "لكن ذلك (التعاون) سيكون متسقا مع تقارير عن التاريخ الطويل لكوريا الشمالية من التعاون الصاروخي مع هذه البلدان ومع ملاحظات اللجنة".

أوجـــاع وطـــن

سلمية الثورة وادعاءات الآخرين!

■ فايز سارة

لعل من نافل القول أن ثورة السوريين في آذار (مارس) 2011، بدأت سلمية في انطلاقتها، وفي حراكها وفي شعاراتها، بل إن المناداة بالسلمية كانت أكثر وأعلى الشعارات، التي رددتها تظاهرات السوريين من درعا في الجنوب إلى حلب في الشمال ومن اللاذقية في الغرب إلى دير الزور والقامشلي في شرق البلاد.

وعلى رغم مضي نحو خمسة عشر شهراً على الثورة، وحصول تطورات عنفية في مناطق سورية عدة، فإن الطابع العام لثورة السوريين ما زال سلمياً، وهو ما تؤكده استمرارية التظاهرات في المدن والقرى، حيث استطاع الناس الخروج للتظاهر والاعتصامات على نحو ما تكرر مرات في دمشق في الآونة الأخيرة في حملة «أوقفوا القتل» وهي حملة لا يمكن أن يقوم بها أشخاص غير سلميين، وغير مؤمنين بالسلم نهجاً في حياتهم.

وبخلاف هذا الدفق السلمي في ثورة السوريين، فإن أحداً لا ينكر أن مظاهر للعنف أو انخراطاً فيه قد ظهر في مدن وقرى سورية قليلة، ربما كان ما حدث في حمص وبعض قرى الريف مثالها، وفيها حدثت أعمال عنف كان من أطرافها مسلحون ومنتمون إلى الجيش الحر ومنشقون عن المؤسسة العسكرية – الأمنية في مواجهة قوات الأمن والجيش والشبيحة وأنصار النظام.

وأعمال العنف هذه، كانت محكومة بسمات وخصوصيات منها أنها محصورة في أماكن محددة، وأن هذه الأماكن شهدت أوسع وأشد فصول المعالجة الأمنية العسكرية للأزمة، تم فيها قتل وجرح واعتقال وتهجير وتدمير ممتلكات خارج التصور، اذكت غضباً في أوساط السكان ورفضاً لأوامر قادة في الأجهزة الأمنية – والعسكرية، وغالباً فإن ذلك ترافق مع تصعيد في لهجات الخطابات التخوينية والدينية – الطائفية. وبصورة عامة، فإن الطابع العام لهذه التطورات محلي من جهة ومرتبط بظروف محددة، من جهة أخرى، مما ينفي عما حدث صفة الظاهرة، بل أن كثيراً من أعمال العنف خارج عنف النظام كان فردياً أو لجماعات غير منظمة، وليس لها امتدادات تنظيمية، ولا تصورات فكرية وأيديولوجية ناظمة.

غير أن واقع الاختلاط بين عمومية السلمية ومحدودية العنف في صورة ثورة السوريين على نحو ما بدا في الداخل السوري، لم ينظر إليه على هذا النحو من جانب الآخرين، وهو أمر لم يقتصر على خصوم الثورة انطلاقاً من النظام وإعلامه إلى أنصاره القلائل في المحيطين الإقليمي والدولي، بل امتدت تلك النظرة إلى أنصار إقليميين ودوليين للثورة، وأطراف هي محسوبة على ثورة السوريين وأشخاص منهم. والأمر في كل الأحوال كان محكوماً بخلفيات فكرية وسياسية وعملية، استند إليها الذين نظروا إلى الثورة باعتبارها تحولت إلى العنف، أو أنها عنيفة في الأساس، وما تبع ذلك من أقوال تتصل بمسلحين وأسلحة وأعمال مسلحة، تصل حد «الجرائم» على نحو ما بينت أقوال صدرت هنا وهناك.

لقد أشارت تصريحات سورية رسمية إلى مسلحين وجماعات إرهابية مسلحة في الثورة منذ بداية الأحداث، واستمرت تلك التصريحات متصاعدة لتصير السمة العامة للحراك الشعبي المناهض للنظام، بخاصة مع ربط الحراك بمؤامرة تشارك فيها أطراف خارجية، ونحت أطراف مؤيدة وداعمة للسلطات السورية في الاتجاه ذاته، حيث قرنت الثورة بممارسة العنف وبالارتباط بالخارج وهو ارتباط لا يقتصر على الروابط السياسية والأمنية فقط، بل أن الاتهام يشمل السلاح والعمليات المسلحة بما فيها عمليات التخريب والاغتيال، وفي وقت مبكر تحدث الروس عن «معارضة سورية مسلحة»، فيما ربط الإيرانيون بين الحراك السوري والأهداف الإسرائيلية – الأميركية.

لقد تحدث المنضوون في الفريق السابق عن مسلحين وإرهابيين وأعضاء في القاعدة من سوريين وآخرين وفدوا إلى سورية، وعن مصانع أسلحة وذخائر، وأخرى يتم تهريبها من دول الجوار، وعن عمليات عسكرية وتفجيرات واغتيالات، تكاد تتماثل مع ما كان يحدث في أفغانستان والعراق في أسوأ ما مر بها البلدان في أيام الانفلات الأمني، والهدف الرئيس لكل ما تقدم، هو تبرير تواصل العمليات الأمنية العسكرية ضد عشرات المدن والقرى وما يقع فيها من قمع عنيف وعقوبات هدفها وقف استمرار التظاهر والاحتجاج ضد النظام، وقد تعدى الهدف ما سبق إلى هدف آخر، لا يقل أهمية، وهو إقناع العالم بأن ما يتم القيام به في سورية، لا يندرج في سياق مواجهة النظام لمتظاهرين ومحتجين ضده، إنما هو مواجهة مع الجماعات الإرهابية المسلحة وأبرزها تنظيم القاعدة، والتي تمثل خطراً على امن العالم وسلامه. ولأن النظام في سورية يقوم بهذه المهمة نيابة عن العالم، فإنه يستحق دعمه ومساندته وقبل ذلك كله الإبقاء عليه قائماً في سورية بغض النظر عن أية تفاصيل أخرى.

أن سلمية الثورة والحراك السوري، هي مسألة مبدأ من الناحيتين السياسية والأخلاقية، وفي هذا تتشارك قوة الحراك مع توجهات جماعات المعارضة وعموم الشارع السوري الموصوف بعامة بسلميته وميله إلى التسويات والتوافقات في سياق حياته العامة وفي علاجه للمشاكل القائمة.

وعملية إلحاق صفات ومتممات القوة والعنف، وما يتصل بهما من ممارسات تتصل بالسلاح والذخيرة والمسلحين، إنما هي عملية قسرية، ذات أهداف سياسية، تستجيب مصالح أصحابها، لكن ذلك لا يمنع من قول، انه وتحت ضغط ظروف إستثنائية ومحدودة، فإن بعض مظاهر وأعمال عنف حدثت، ويمكن أن تحدث لاحقا في بعض المناطق السورية، من دون أن تنزع عن السوريين سلميتهم في انطلاق ثورتهم، وفي حراكها وفي شعاراتها.

جريدة الحياة اللندنية 10 / 5 / 2012

على وقع طبول الحرب...
السوريون في سباقٍ مع الانفجار..
والحوار هو الحل...

■ ياسر مرزوق

يقف " أورست" في مسرحية " الذباب "، عند "سارتر" أمام إله الآلهة " جوبيتير " قائلاً:

أنت ملك الآلهة يا جوبيتير وملك الصخور والكواكب والأمواج في كل البحار، لكنك لست ملك الإنسان، أنا لست السيد ولا العبد وإنما أنا الحرية لم تكد تخلقني حتى خرجت من نطاقك، انت إله وأنا حر... كلانا في اليأس وحيد وكلانا في اليأس سواء..... يجيب "جوبيتير " في مكان آخر: إن سر الآلهة أنها تعلم أن الناس أحرار وهم لا يعلمون.... إن الحرية إذا تفجرت في روح الإنسان لم تستطع حتى الآلهة شيئا ضده....

والآلهة تعرف السوريين جيداً وتقف معهم ومع ثورتهم المجيدة، عامٌ ونيف على فجر الحرية في سوريا، الذي شق طريقه في ظلمات ديكتاتوريّة النظام وفساده، " والكلام هنا للمعارض عبد العزيز خير ": "بما يعنيه ذلك من قمع معمّم وشديد ضدّ كلّ نشاطٍ أو تفكيرٍ سياسيٍّ مستقل؛ ومن رعب ينتاب المواطنين كلّما تناولوا القضايا السياسيّة في جلساتهم الخاصّة أو العامّة؛ ومن ممارسة للحكم على أساس مراسيمَ وأعرافٍ وأوامرَ كثيرًا ما تكونَ شفهيّةً وخرقًا للقانون المكتوب أو تحريفًا له أو استثناءً منه، بحيث تَخدم مصالحَ الموالين للنظام، وتضعُ ثروات المجتمع في متناولهم أكثر من متناول غيرهم، أو دون غيرهم في كثير من الحالات. وهذا ما خلق حالاتِ تمييزٍ واضحةً بين المواطنين، شملتْ أبسطَ حقوق المواطن، مثل حقّ العمل أو السكن أو السفر خارج البلاد، على مستوى قاعدة الهرم ووصلتْ إلى المحاباة الفاضحة في الصفقات والاستثمارات الكبيرة، على مستوى قمّة الهرم. بالتزامن مع تسارع في تحرير نشاط رأس المال الخاصّ، وبدأ فتحُ الأبواب للرأسمالَ العربيِّ والأجنبيِّ، في تجاوبٍ واضح مع شروط صندوق النقد الدوليِّ ومراكز الرأسمال العالميّة الأخرى. وتعديلاتٌ قانونيّةٌ وعمليّةٌ للنشاط الاقتصاديِّ في البلاد ولدور الدولة الاقتصاديّ، فتراجع هذا الدورُ لصالح رؤوس الأموال الخاصّة والشراكات الجديدة بين النُخَب المقرّبة من السلطة ورؤوس الأموال العربيّة والعالميّة، عبر انفتاح اقتصاديٍّ انتقائيٍّ وأحيانًا عشوائيّ. وبدأ يتراكم تغيير في بنية الاقتصاد، لا يبالي بقطاعات الإنتاج الحقيقيِّ، بل يخنقها ويضعفها. وهذا ما زاد من وطأة التشوّهات البنيويّة، القائمة أصلاً في الاقتصاد السوريِّ، وزاد من تبعيّته للخارج، ومن تكيّفه مع حاجات السوق العالميّة، لا مع حاجات التنمية والمجتمع السوريِّ، ولاسيّما حاجات الطبقات الشعبيّة والوسطى التي كانت القطاعاتُ الإنتاجيّة وقطاعُ الدولة تؤمّن بعضَها، وبخاصة الحاجة إلى العمل. كل هذا كان بالنتيجة على حساب الطبقات الشعبيّة والوسطى، وبعض فئات الرأسماليين غير المقرّبين من السلطة. وقد أدّى تسارعُ الفرز الطبقيّ إلى إنتاج نخبٍ ذات ثرواتٍ خياليّةٍ ورفاهيةٍ غير مسبوقة، بينما انحدر المستوى المعيشيّ والاجتماعيُّ للشرائح الوسطى والدّنيا بشكلٍ قويٍّ، وتوسّعتْ دائرة البطالة بسرعةٍ كبيرة".

أضف إلى ذلك ما وفّره مناخُ الربيع العربيِّ "تونس، مصر، ليبيا، اليمن،... ". هذا المناخ أنعش الأمل بالتغيير، وقوّى الثقة بالنفس في إمكانيّة تحقيقه بقوى الشعب نفسها، وقدّم نماذجَ رغبَ السوريّون في السير على هديها. فالشعبُ السوريُّ لا يعتبر نفسَه أقلّ من غيره من الشعوب، بل على العكس؛ فهو شعبٌ معتدٌّ بنفسه، ويتباهى بتاريخه الحضاريِّ ومدنيّته العريقة ـ وهو محقّ في ذلك.

أتى رد النظام سريعاً معلباً، إنها المؤامرة الكونية على بلد الممانعة، و الأصل في نشوء فكرة المؤامرة " والكلام هنا عن الأكاديمي السوري المعروف برهان غليون ": "هو التغطية على العجز النظري والسياسي الذي أظهرته النخبة في فهم سياسات الدول الكبرى واستراتيجياتها وايجاد السبل الكفيلة بالرد الناجع عليها وإحباطها. فما نسميه مؤامرة ليس هو في الحقيقة سوى سياسات وخطط منظمة ومعروفة، أو يمكن معرفتها من خلال البحث والدراسة العلمية، تبلورها القوى المختلفة في صراعها من أجل تحقيق أهدافها المنشودة، سواء أكانت هذه الأهداف أهدافا وطنية مشروعة أو أهدافا استعمارية. هكذا يجنب الحديث عن مؤامرات خارجية النخب الاجتماعية، والحاكمة منها بشكل خاص، النقاش في مسؤوليتها عن فهم حقيقة هذه الخطط ومضمونها وتحديد أهدافها وبلورة الاستراتيجيات أو الخطط المناقضة المطلوبة للرد عليها. والنتيجة هو إخراج العلاقات الدولية من الميادين السياسية وتجنيب الرأي العام مناقشتها على هذه الأرضية ووضعها على أرضية أخلاقية وعاطفية تبرر كل أخطاء السلطات والنخب الحاكمة وتطمس مسؤوليتها عن غياب المبادرة الفعالة لإحباط الخطط الاجنبية. فإبراز الاستراتيجيات المعادية في صورة المؤامرة هي جزء من آليات التلاعب بالرأي العام وحرف نظره عن نقائص النخب الحاكمة وضعفها. وبالتأكيد يتناسب حظ نجاح مثل هذا التلاعب طرداً مع ضعف الثقافة السياسية وقيم المسؤولية عند المجتمعات وغياب معايير المحاسبة والمساءلة عند الرأي العام".

وبين ثورة شعبية تقف معها الآلهة فقط، ومؤامرة كونية يدّعيها النظام، تسيل دماء السوريين، ويعلو ضجيج الاحتجاجات والمبادرات والتصريحات، لن تكون مبادرة عنان التي أفردنا ملفنا السابق لبحثها إخرها، وهي التي قدر لها ألا تحلق عاليا وبعيدا مهما كان الصخب الإعلامي الذي يحيط بها، لأن صراعات التاريخ الكبرى أعقد وأصعب بكثير من أن يجري حلها في استديوهات الفضائيات، وفي الأروقة المكيفة، وأمام العدسات، وعلى الشاشات تتزاحم فوقها الظلال والألوان، إلا أن هذه المبادرة كشفت وعرّت طرفي الأزمة في سوريا، كشفت الأفكار... وكشفت المواقف.... وكشفت القدرات، ولم تترك رداءً ولا حياءً.... ولا حتى ورقة توت.

إن من يسمع التصريحات الأخيرة لشيخ المعارضين " هيثم المالح " لقناة الجزيرة عن انشقاقات واسعة في الهيكل الإداري والعسكري للنظام، وعن تواصل هذه القيادات مع المعارضة في الخارج لتحديد ساعة الصفر، ينتابه شعور بأن الأمور حسمت والحديث الآن لا بد أن يكون عن سوريا ما بعد الثورة، ومن يسمع تصريحات الإعلام الرسمي ينتابه شعور بأن المعركة حسمت لصالح النظام وأن على المعارضة التعامل مع التنازلات التي ادعى النظام تقديمها والدخول في لعبة السياسة، ثم يأتي تفجير العاشر من أيار في قلب العاصمة

دمشق ليخلط الأوراق ولندرك أن لا أحد من الطرفين يملك إجابة مقنعة، وتبدأ الاتهامات من الطرفين ولكل حجة تبدو مقنعة دون الالتفات لطرفٍ ثالث دخل اللعبة السورية، الإرهاب الأسود الذي قد يأخذ البلد للمجهول.

من هنا يبدو من العبث اليوم أن نفرد ملفاً عن الحوار، حين تبدو سوريا، أكثر من أي وقت مضى، أمام أكثر أوقاتها خطورة. وحين ينحصر الكلام بالسلاح، تصبح الرؤية محجوبة تماماً خلف غبار المعارك، خصوصاً اذا ما كان خصوم الأسد يريدون رحيله مهما كلف الثمن، وهو سيحافظ على البقاء مهما كلف الثمن. هي معركة إقليمية ودولية بامتياز تجري على أرض سوريا وبدماء السوريين. والنظام حسم أمره مبكراً من خلال الحسم العسكري، والمعارضة تقول إن الحسم العسكري غير ممكن لأن في البيوت أناساً يحمون المسلحين. وتقول أن موسكو "تبيع وتشتري" ولو وجدت مصلحتها في البيع فلن تتردد. التطمينات الغربية كثيرة بأن العقوبات المفروضة على النظام والضغوط العسكرية على الأرض وفقدان جل علاقات سوريا مع العرب والغرب ستؤدي إلى سقوط النظام. تؤكد المعارضة أن سقوط الأسد بات مسألة وقت، ولكنها لا تقدم إجابات شافية حول كيفية ذلك.

من اللامعقول والحالة هذه أن نتصور وجود حوار، بينما الحوار معطل، أو ضائع، الكلمات مختلفة وكذلك القيم، وكذلك المنطق والتصورات كل منها في واد، وفي زحام اللامعقول تقف شابة أمام مجلس الشعب " بكل ما لهذا المكان من مدلولات " وترفع لافتة كتب عليها "أوقفوا القتل من الطرفين لنبني سوريا لكل السوريين " أمام تصفيق المارة وصيحاتهم، ثم تتكرر الظاهرة في شوارع دمشق، وإذا بهؤلاء الشبان أكثر وعياً من الساسة وأكثر حرصاً على سوريا للجميع، وقد يكون هؤلاء الشبان قرئوا أشعار طاغور أو لم يقرئوها وهو القائل في قرابين الأغاني في نجوى الإله:" إن نبغ نيل العالم كله لم ننل شيئاً إنما إن تقنا إلى شيء محدود ونزعنا إلى هدف معين لاح لنا حينئذٍ منفذ الولوج إلى اللامتناهي " إن ملفنا اليوم عن الحوار وآلياته من جهة، وتحية لكل من أعاد للثورة السورية في الأيام الأخيرة طابعها المدني وانتصارها الأخلاقي.

بالعودة إلى الحوار لابد من التذكير بأن ثقافة الحوار باتت مفقودة في مجتمعنا منذ عقود، في بيئة الدولة الاستبدادية التسلطية القائمة على الاحتكار الفعال، لا لمصادر السلطة والثروة والقوة فحسب، بل للحقيقة والوطنية أيضاً. على قاعدة اجتماع الرأي والسيف في يد واحدة. ولا نريد أن نكرر ما بات معروفاً من ارتباط العلاقات الاجتماعية التقليدية بأنساق ثقافية مغلقة على حقائقها النهائية الناجزة التي تحكمها جميعاً رؤية مشتركة إن لم نقل واحدة للعالم. بل نشير إلى حقل معرفي جديد، في الفكر السياسي، وفي علم الاجتماع السياسي، واجتماعيات الثقافة، ذلكم هو حقل الدولة التسلطية والمجتمع الجماهيري، مجتمع المسيرات المليونية والهتافات الببغاوية، والثقافة الجماهيرية. ولعل ثقافة الحوار التي أميل إلى وصفها بالثقافة المدنية، أو ثقافة المجتمع المدني، أو الثقافة الديمقراطية، تكون مدخلاً إلى ذلك. ولا معنى لثقافة الحوار إن لم تؤسس لتغيير اجتماعي سياسي، ولا أمل إن لم تستعد الثقافة جذرها الجدلي ونسغها الأخلاقي، وإن لم يكن الإنسان مركز دائرتها والحرية والحقيقة مبدأها وغايتها.

مما سبق نجد أن النظام في بنيته غير قادر على الحوار وهو لا يرى الحوار الوطني من منظور ديمقراطي بل من منظور استراتيجي. فالحوار كما يراه النظام ليس جهداً للوصول إلى أرضية مشتركة بين قوى سياسية تمثل أطياف المجتمع السوري، بل هو أطروحة غايتها إظهار مرونة على مستوى الخطاب السياسي مع الاحتفاظ بالبنية والفعل السياسيين في دائرة الحالة الراهنة. وهذا ما أكدته تصريحات الموالين للنظام المتكررة إعلامياً والتي تضع شروطاً مسبقة للحوار وتصنف المعارضين وتوزع عليهم التسميات، بين معارض وطني، وآخر عميل، في ازدراء واضح لأبسط أبجديات الحوار، وبطبيعةً الحال لا يمكن الحديث عن حوار حقيقي بين ممثلي السلطة والمعارضة ما لم نصل إلى حالة التطابق بين الخطاب والفعل وبين الحديث والواقع. الحديث عن حوار وطني يتحول إلى نكتة سمجة عندما يتم اقتراحه والوحدات العسكرية مستمرة في اجتياح المدن والقرى ومحاصرتها. وهذا ما يؤكد أن الحوار الوطني ليس مطلباً ديمقراطياً بل تحركاً التفافياً يهدف إلى إبعاد الأنظار عن العمليات العسكرية وكسب الوقت للقضاء على الحراك الشعبي الداعي إلى التحول الديمقراطي.

الدعوة الصادقة للحوار الوطني يجب أن ترافق مع تحركات عملية تؤكد صدقية النهج، وهذا يتطلب أن تنطلق الدعوة من حيثيات أربعة، نحددها فيما يلي باختصار:

أولا: أي يتوقف النظام السوري عن إنكار وجود حراك جماهيري مشروع ويعترف بحق المواطن السوري بالتحرك سلمياً للدعوة إلى الإصلاح وانتقاد الفساد.

ثانيا: أن تنطلق الدعوة إلى الحوار الوطني من موقع الرئاسة، الموقع السياسي الوحيد في الدولة الذي يملك سلطة تعلو على سلطة قادة الأجهزة الأمنية. " ولرأس الدولة هنا أن يستعيد الالتفاف الجماهيري الذي حازه، بعد أن ورث الحكم عن أبيه، من الموالين والمعارضين، وهو الذي سمي حينها بشار الأمل، الأمل الذي تاه في أقبية الأمن، وصناديق الفساد، وهي فرصة، ليحدد الصفحة التي سيسجل فيها اسمه في سجل التاريخ..... "

ثالثا: أن ترافق الدعوة إلى الحوار مع وقف كل أعمال القمع والاعتقال التعسفي العشوائي، وإطلاق صراح كل معتقلي الرأي في خطة عملية تحقق فحوى القرار الرئاسي بوقف العمل بقانون الطوارئ والذي لم يتم احترامه حتى يومنا هذا.

رابعا: أن يعلن الرئيس بشار الأسد أن الغاية من الحوار الوطني البدء بعملية التحول الديمقراطي وتحديد آليات الانتقال من حالة الحزب الواحد إلى التعددية الحزبية والحريات المدنية التي أضحت الحالة السياسية الوحيدة التي تكفل كرامة المواطن واستقرار الوطن.

السؤال الذي يواجه المجتمع السوري المحتقن اليوم سؤال بسيط ومعقد في آن: هل يسارع النظام السوري إلى تدارك الانهيار السياسي والاقتصادي الذي يهدد سوريا أم يستمر في الفصل بين الفعل والخطاب ويقود البلاد نحو حافة الهاوية؟

يعتبر فتح عملية سياسية شاملة، وجلوس الحكومة السورية والمعارضة وجها لوجه في أقرب وقت ممكن هو النهج الأكثر واقعية وفعالية للخروج من المأزق. وينبغي أن يستند الحوار على جميع الأطراف في الدولة والمصالح الوطنية، ومادامت المطالب معقولة، يمكن وضع جميع المواضيع على طاولة الحوار. كما ينبغي أن تكون الأهداف المرجوة من الحوار هو إيجاد حلول تتماشى مع الظروف الوطنية ومصالح الشعب الأساسية. وينبغي على الحكومة السورية الوفاء بالالتزام لتسريع عملية الإصلاح، وإظهار الإخلاص لاستجابة للمطالب الناس المعقولة. وينبغي على المجتمع السوري والمعارضة المشاركة بنشاط لتخفيف حدة الموقف والعمل معاً لتهدئة الوضع.

كما لا يمكن الاستغناء عن المجتمع الدولي وخلق بيئة خارجية جيدة للخروج من المأزق في سوريا. حيث أن سوريا هي مركز العصب في الشرق الأوسط، والذي يؤثر على الجسم كله. ويجب أن يكون تعامل المجتمع الدولي مع سوريا حذراً جداً ومدروساً ومتوازناً، كما أن عدم نسخ" نموذج ليبيا" هو الطريق الصحيح لحل المشكلة. كما أن التوازن بين جميع الأطراف في سوريا، هو المفتاح للاستقرار والتوازن يساعد في الشرق الأوسط برمته.

على النظام أن يعي أنه لن تكفي الخطوات التي قام بها النظام في داخل مؤتمر حزب البعث، أو تغيير للدستور أو تشكيل أحزاب وقانون إعلام جديد لوأد الفتنة، كما يجب على جميع السوريين أن يعوا أن بإمكان الجميع، تحديد بداية الحرب، لكن لا أحد يستطيع تحديد ساعة النهاية، فالحرب كرةٌ من النار تحرق الجميع بالتساوي، ولعل التجربة اللبنانية دعوة واضحة لتعلم دروس التاريخ، فبعد سبعة عشر عاماً من الدماء جلس اللبنانيون إلى طاولة الحوار.

كانت آخر قطعة كتبها الأديب الإيطالي " بيراندللو " هي " آدم وحواء "، تصور فيها الإنسانية وقد انهارت ومحت الكوارث الجنس البشري سوى رجل وامرأة، وقد أخذ آدم الثاني وزميلته وريثة حواء في بناء العالم من جديد ولكنهما يتميزان عن سلفيهما الأكرمين بأن ذكرى المدنية التي انهارت كانت ما تزال لاصقة بذهنيهما وقلبيهما، ويتساءل " بيراندللو " في آخر الرواية هل سيستطيعان تجنب الأخطاء التي وقع فيها أسلافهم..... كلنا أمل بأن يجيب السوريون على هذا التساؤل، وأن يخلصوا للإنسان هذا المخلوق الخصيب الذي قد يكون مضغة عريقة في الطين والحمأ، ولكنه في الوقت نفسه، عينٌ مع النجم وتوقٌ وراء النجم، قد تهوي به حيوانيته وتهوي حتى ليزهق روحاً، وقد تنطلق به شطحة من عبقرية أو جنون أو تصوف فإذا بينه وبين الغيم شبرٌ أو بضعة شبر.

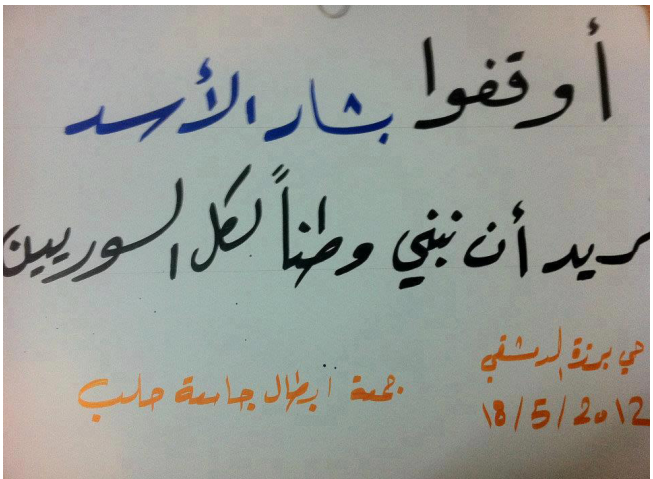

النكبـــة الســـورية

■ خالد كنفاني

لأول مرة منذ عقود، تاهت ذكرى نكبة فلسطين وسط الأمواج المتلاطمة التي تضرب شواطئ المنطقة العربية منذ ما يزيد على عام. في هذه السنة طغى الربيع العربي بكل تجلياته على ذكرى النكبة. فما مرّ بهذه المنطقة هو حدث تاريخي بكل المقاييس وسيكون علامة فاصلة في التراث الإنساني.

انتصر الأسرى الفلسطينيون المضربون عن الطعام في السجون الإسرائيلية بعد أن تم التفاوض بشأن تسوية أوضاعهم. وكأن إسرائيل عدونا الأكبر تريد أن تثبت مرة أخرى أنها أرحم من كل الأنظمة العربية الزائلة أو التي ستزول عما قريب. فما سمعنا سجينا (أو بالأحرى معتقلا) عربيا أضرب عن الطعام فوجد من يفاوضه أو يكترث له أصلا، هو في كل الأحوال محروم أصلا من كل حقوقه الأساسية اعتبارا من اللحظة التي تم حشره فيها في صندوق سيارة أو باص مليء بالأبرياء امثاله.

لا شك أن النكبة الفلسطينية كانت فاتحة لنكبات عدة مرت على الفلسطينيين خاصة وعلى العرب عامة، غير أنه من المفهوم أن هذه النكبة حدثت بفعل عدو احتل الأرض وهجّر أهلها وقرر الاستيلاء على الحجر والشجر. وما تم ذلك إلا بمعونة الأنظمة العربية سواء منها التقدمية أو الرجعية آنذاك، كلهم متوحدون عندما يتعلق الأمر بخدمة إسرائيل. أما أن تكون نكبة وطن على أيدي أهله (أو من يفترض أنهم أهله) فهي مسألة غاية في الصعوبة والتناقض في آن معا. وإلا فكيف يدعي من جاء بشعارات التنمية والحرية والوحدة أنه يبني وطنا ثم يقوم بتدمير وتحطيم مواطنيه بكل ما تحمله الكلمة من معنى؟

تحمل النكبة السورية اليوم أبعاداً كثيرة. فالعنف المتفجر اليوم في كل مكان من الأرض السورية أصبح خطراً حقيقياً على وحدتها مجتمعياً وثقافياً وسياسياً، وهو ينذر بالكثير من المخاطر المحدقة بهذا الوطن كلما طال أمد الأزمة. وإذا كان من سيدّعي اليوم بأن كافة أعمال العنف أو القتل أو الخطف أو غيرها تصدر من طرف واحد يكون مجافيا للحقيقة ومجافيا للمنطق أيضا. فمن يريد الدفاع عن نفسه مثلا مستعد لاتباع كل الأساليب في سبيل حماية نفسه وعائلته أو عشيرته. وكافة الأساليب هنا تعني كل شيء بدون استثناء، فلا يمكننا إنكار صفة البشرية عن كل هؤلاء، فهم يغضبون لما يحدث أو حدث سابقاً لبيوتهم وعائلاتهم ولن يتورّعوا عن الانتقام بأي شكل من الأشكال. ولا نناقش هنا بالطبع في مشروعية الدفاع عن النفس، فهي حق مكفول، ولكن النقاش يدور اليوم على العنف والعنف المضاد كائنا من كان صاحبه.

لا أحد اليوم مستعد للرحمة في سوريا تحت أي شعار، سواء كان هذا الشعار دينياً أو قومياً أو اجتماعياً أو حتى أخلاقياً، الكل يبرر فعلته والكل يدافع عن وجوده بذات الطريقة. هناك شهادات كثيرة عمّن هربوا من بطش النظام ليقعوا تحت سطوة الجيش الحر. ولن نكون خياليين لإضفاء صبغة الرومانسية والمثالية التي يطيب لكثير من المعارضين (وخصوصاً في الخارج) إضفاءها على مقاتلي الجيش الحر. فليس كل من لبس بذة عسكرية وحمل رشاشا يمكنه الادعاء أنه ثائر يقاتل النظام، وإنما كل شيء منصبّ اليوم على مسألة إسقاط النظام وهو ما يجعل الكثيرين يتعامون (بقصد أو بغير قصد) عن الكثير من التجاوزات التي تحدث من قبل عناصر مسلحة لا رابط بينها ولا قيادة إلا ما يدعيه البعض عن تبعيتهم للعقيد رياض الأسعد المتواري فيما وراء الحدود.

هذا الكلام يعتبر بمثابة الضوء الأحمر الذي يجب إشعاله اليوم للتنبيه على مخاطر التسلح، وليس هذا طعناً أو تشكيكاً بآلاف الشرفاء والأحرار الذين رفضوا إطلاق النار على أبناء جلدتهم. ولكن ماذا عن الآلاف غيرهم من الخائفين والواقعين تحت حكم ضباط الجيش والذين لن يجدوا من يحميهم في حال انشقاقهم؟ يقع هؤلاء فريسة الاثنين معاً، فإن هم بقوا في جيش النظام فلن يضمن لهم أحد عيشاً في أية لحظة يسقطون بيد الجيش الحر أو غيره، والعكس صحيح، فعندما ينشق أحد المجندين أو الضباط يتم التنكيل بعائلته وأقربائه، ومن الظلم مطالبة الجميع بالانشقاق مثلما أنه من الظلم قيام كتائب الجيش الحر أو غيره من الفصائل المسلحة باغتيال أي جندي لمجرد وجوده في الجيش السوري، فليس كل هؤلاء قتلة كما أن التحقق قبل تنفيذ الأحكام هو العدل الذي تبتغيه هذه الثورة، أما الإعدام على الهوية العسكرية فهو يشبه الإعدام على الهوية الطائفية، الاثنان ظالمان ولا يؤسس ذلك سوى لدولة تحكمها العصبيات والأهواء وهي دولة زائلة ووطن محترق لن يحيا فيه إلا المغلوبون على أمرهم أو المرتزقة.

قد يجد البعض في هذا الكلام قسوة على الثوار، ولكننا يجب أن نفهم أنه لن تعود هناك مقدسات شخصانية بعد اليوم، على الكل أن يخضع للنقد والتقويم والتصويب، وإلا فإننا نؤسس لديكتاتورية من نوع آخر ونستبدل مادة ثامنة بأخرى. وهو ما يحضرني عند إعادة انتخاب الدكتور برهان غليون للمرة الثالثة على التوالي لمجلس وطني هوائي يسبح في المعمورة بلا قرار ولا مستقر. كلنا نحترم برهان غليون فهو إنسان مستقيم ونظيف اليد وغاية في الاحترام ولكنه ليس سياسيا. وهذه لا تحط من قدره، بل على العكس فإنها تضعه في مكانه الصحيح. ونحن كنا دائما ضد الفساد الذي يضع الناس في غير أماكنهم ولا نريد لذلك أن يتكرر من جديد وأن لا تتم شخصنة الثورة أو النظام القادم من جديد. المؤسف في الأمر أن معظم أعضاء هذا المجلس عاشوا في الخارج فترات طويلة وعايشوا الأنظمة الديمقراطية وتداول السلطة، كما أن كثيرين منهم كانوا ممن كتب في المسألة الديمقراطية والحرية آلاف المقالات والكتب، وهكذا وجدناهم فجأة لا يطبقون شيئا مما نادوا به على مر عشرات السنين. وكان أن تعالت الصيحات هنا وهناك من منادين باستقالة غليون إلى منادين بحل المجلس من أساسه بعد أن ثبت انه لن يستطيع حكم حارة في سوريا، بسبب الخلل المريع في تركيبته وكذلك ضعف تمثيله والانخفاض الحاد في شعبيته داخل سوريا. لا يدرك كل هؤلاء أنهم يوماً بعد يوم يفقدون كل رصيدهم الجماهيري والشعبي السابق أمام سيل ثوري جارف لم يعد يقبل التسويف والمماطلات وانعدام الشفافية والشعارات الجوفاء.

دفع الكثيرون من المعارضين وعلى رأسهم المجلس الوطني باتجاه عسكرة الثورة وتسليح الثائرين بعدما اعتقدوا أن

هذه هي رغبة أغلبية الناس، كما أنهم وقعوا في الفخ الخليجي الذي اتخذ التسليح شعاراً يصيح به في كل المنتديات. ولكن ما حدث فعلياً أن الجميع تخلى عن الناس بعد كل هذا التجييش، وخاصة أن بعض الدول خافت من أن يفتح باب التسليح أبواب عسكرة المعارضة في بلدانهم هم أنفسهم، وهكذا ساد الصمت الخليجي والغربي عن مسألة التسليح لصالح خطة عرجاء يقودها رجل متقاعد لا يزال لديه بعض العلاقات الجيدة والكثير من الالتزامات المالية فيما يبدو (وهو ما يفسّر طلب تمويل لجنة المراقبين عاماً كاملاً)، وأسقط في أيدي الثوار الذين خانتهم الوعود والعهود وزادت شراسة النظام بحقهم وتعرضت أحياء بأكملها للتدمير.

لا يعلم الكثيرون مدى تأثير سلمية الثورة على النظام، إن التنكيل الذي يلاقيه حملة الأقلام أكبر بكثير مما يناله حملة البنادق، فالأول يطلق الكلمات لتبقى بينما يطلق الثاني الرصاص وينتهي في لحظته. لم يبقَ من الرصاص الذي تم إطلاقه في كل الحروب في العالم سوى الذكريات السيئة وأحزان الامهات وآلام الأطفال. بينما بقيت الكلمات الخالدة في قلوب وعقول البشرية وستبقى لقرون قادمة. إن ما يثير غضب النظام اليوم ليس عسكرة الثورة ولكن سلميتها، فالأولى يعلم علاجها ويحاول فعل كل شيء لقمعها، بينما لا تخبو الثانية في أية مدينة من مدن الوطن الثائر. كانت لافتة حمراء بسيطة أمام مجلس الشعب كافية لإثارة جنون الأمن بأضعاف ما تثيرهم طلقة بندقية. وهذه ليست دعوة للاستسلام للقتل كيفما اتفق، ولكن انتشار السلاح بين الناس سهل، غير أن جمعه سيكون صعباً جداً وطويل الأمد. ولن ننسى أن من جاؤوا إلى السلطة قبل أربعين عاماً جاؤوا بانقلاب عسكري مدعين إعادة الحياة المدنية والحريات ولم يحصل شيء من هذا أبداً، ونحن اليوم ندعو لاستلام السلطة بذات الوسائل التي استخدمها هؤلاء ومن سيضمن بعدها تسليم السلطة وإعادة الحريات فيما بعد؟ المجلس الوطني؟ نشك في ذلك، واسألوا ليبيا ففي أزقتها الدامية ومدنها المغلقة أبلغ الجواب.

من أروع المواقف التي لا بد من الإشادة بها موقف المعارض عمر إدلبي الذي غامر بحياته ليدخل إلى حمص ويلتقي بالثائرين داخل المدينة ومن ثم تعرضه لمحاولة اغتيال. هذه الشجاعة التي افتقدها مئات من المعارضين الذين يصيحون يومياً: "لن نعود قبل أن يسقط النظام" وهو حق يراد به باطل. فهم يؤثرون السلامة ويكتفون بالنضال الافتراضي خلف الشاشات الصماء في مقاهي مدن العالم المختلفة. فإما أن تدعموا سلمية هذه الثورة من هناك أو تاتوا إلى هنا لتقاتلوا إذا كنتم من أنصار التسليح والعسكرة. أما طريقة "هيا، اهجموا، تقدموا، ولا تتراجعوا" بينما يدعمهم هو أو هي في شاشات القنوات التلفزيونية وقاعات المؤتمرات الارستقراطية الفخمة، فاسمحوا لي بأنها طريقة الجبناء. أما الادعاء بأن العودة اليوم لن تزيد المتظاهرين واحداً فهو ادعاء سياقط وخاصة لمن يظن في نفسه قيادياً بارزاً أو الأسوء ناطقاً باسم الثورة السورية، ويا له من منصب يتولاه من لم يحمل في حياته بندقية ومن لا يجلس بين الثوار على الأرض يشاطرهم انتصاراتهم وهزائمهم.

يزداد ظلام النفق الذي تدخله سوريا يوماً بعد يوم، ورغم كل التفاؤل الذي نحاول جميعاً زرعه للوصول إلى وطن مشرق وحر تسوده المساواة والعدالة والحرية، فإن المخاطر المحدقة بهذا الحلم كثيرة جداً، ونحن إذ يسقط بعضنا في فخ الوسائل البدائية في التعبير عن الرأي وممارسة القمع المعاكس لكل ما يمكن تفسيره أو تأويله "معاداة للثورة"، فإننا نعيد من جديد إنتاج الأدوات القمعية ذاتها التي استخدمها سابقونا في كل العصور، سيادة الرؤية الواحدة والفكر الواحد و"المجلس الواحد". علينا جميعاً أن نستفيق من عقدة إثبات جرم النظام أو عقدة الضعف والمسكنة والانطلاق نحو تفكير جديد يؤسس لمستقبل آخر ولا نريد أن ننظر إلى وراء بعد اليوم، وهنا أنادي كل الناشطين والمعارضين: "أرجوكم أن لا تقنعونا بأن الشمس تشرق من الشرق، سئمنا تحليلاتكم عند كل انفجار وكل رصاصة يتم إطلاقها، ولنفكر جميعاً بكيفية لملمة أشلاء هذا الوطن المتمزق والذي يدخل غرفة الإنعاش من أوسع أبوابها اليوم."

آخر الكلام: يقول خير الدين الزركلي:

بِلَادٌ تَبَوَّأَهُ الشَّقَاءُ فَكُلَّمَا
قَدُمَ اسْتَقَامَ لُ بِهِ تَجْدِيْدُ
غَلَتِ المَرَاجِلُ فَاسْتَشَاطَتْ أُمَّةٌ
عَرَبِيَّةٌ غَضَبَاً وَثَارَ رُقُوْدُ
وَالشَّعْبُ إِنْ عَرَفَ الحَيَاةَ فَمَا لَهُ
عَنْ دَرْكِ أَسْبَابِ الحَيَاةِ مَحِيْدُ

المسألة الكردية في سورية
مقاربة عامة

■ بدرخان علي

للقضية الكردية في سورية تاريخ ومسار مختلفان عن المشكلات الطائفية في المنطقة. فهي ليست قضية طائفية، والكرد ليسوا طائفة من العرب أو فرقة إسلامية خاصة. فهم ينتمون لشعب يبلغ قوامه الـ 40 مليون نسمة يتوزعون في بلدان عديدة، وهم يشكلون أكبر قوميّة في المنطقة، والعالم، محرومة من معادل سياسي لوجودها، أي دولة مستقلة. وحيثيات تشكّل المسألة الكردية في المنطقة مختلفة عن انبعاث المشكلات الطائفية في المجتمع العربي-الإسلامي.

ثمة إشكالية تثار في كثير من الأحيان تقول إنه من غير الممكن وغير الجائز الحديث عن شعب كردي وشعب سوري في دولة واحدة، والمفترض أن هناك شعباً سورياً وحسب، أو شعباً سورياً عربياً واحداً؛ إذ لا يجوز أن يكون هناك شعبان في دولة واحدة.

تفترض هذه المقولة النظرية أن هناك دولة وطنية عميقة في سورية وقد عملت على هندسة اجتماعية متكاملة في مجالها ونهضت على هذا الأساس. لكننا لو احتكمنا إلى الواقع الملموس الراهن أو التاريخي (لا إلى المقولة السابقة) سنلاحظ، في الحالة الكردية، أننا أمام واقع مختلف، إذ أن الهوية القومية الكردية لم تتعرض للإمحاء أو الدمج في نطاق الهوية الوطنية السورية بل حافظت على خصوصية راسخة. ما يجري الاستشهاد به أحياناً من اندماج كردي في المجتمع الدمشقي مثلاً، أو الحَمْوي، لا يقارب حقيقة المشكلة، إذ أن جوهر القضية الكردية السورية يتجسد في تلك المناطق التي لا يعرف أبناؤها غير اللغة الكردية لغة أساسية ولا يعرّفون أنفسهم إلا بكونهم كرداً كهوية قوميّة-وطنيّة.

لكن القضيّة الكردية لم تتبلور في سورية كمشكلة عامة للدولة والمجتمع السوريين في أيّ وقت، كما في بلدان الجوار، بسبب طرفيّة المناطق الكردية وبعدها عن المدن الكبرى، مراكز السياسة والصراع على السلطة. فالأكراد المندمجون في المجتمع السوري العام (في دمشق وحماه وحلب...) شاركوا بكثافة في السياسة وتبوّأوا مناصب عليا في الجيش والسلطة لكن بصفتهم سوريين وحسب، وكان ذلك قبل استيلاء البعث على السلطة وإقصاء الكرد من جميع المناصب العليا، سيما في الجيش والسلك الديبلوماسي والسياسي. ومن جهة أخرى تحصلت المشاعر القومية الكردية التي اندلعت في فترة الحماس القومي على قنوات أخرى لتصريفها، هي التفاعل الرمزي والسياسي مع الحراك السياسي والنضالي لأكراد العراق وتركيا.

فقد كان المجتمع الكردي السوري مضطرب الهوية والانتماء؛ مشدوداً إلى مراكزه القومية ومدنها التاريخية خارج الحدود السورية الجديدة.

ولم تظهر مشكلة عامة لكن قضية الكرد وهويتهم كانت حاضرة بقوة في أذهانهم، وبذلك بقيت المشاعر القومية ملتهبة إنما محصورة في حدودها. ولقد زاد من حدتها السياسات القومية والاستبدادية التي بوشرت مع قيام الوحدة السورية – المصرية عام 1958، برغم الموقف الشخصي المنفتح المعروف للراحل جمال عبد الناصر، ملهم القوميين العرب آنذاك، من القضية الكرديّة، سيما في العراق (يعيد بعضهم هذا الموقف إلى صراعه مع حكام العراق، والصراع بين القاهرة وبغداد على النفوذ الإقليمي).

وكلما زاد القمع السلطوي وحرمان المجتمع من السياسة والحريات كان نصيب الأكراد منهما مضاعفاً، إلاّ في حدود السياسات المراوغة للأنظمة. كذلك ساهمت عوامل أخرى في تحييد الأكراد نسبياً عن الحراك العام لفترة، أهمها علاقة نظام حافظ الأسد القويّة بالحزبين الكرديين الرئيسيين في العراق، وحزب العمال الكردستاني (تركيا)، ما شكل مفارقة حقيقية: حرمان أكراد سورية من أبسط حقوقهم (كالحرمان من الجنسية والحجر على لغتهم وثقافتهم) مع دعم حركات كردية خارج سورية. وكذلك تهميش القوى السياسية السورية لقضايا الأكراد وخصوصيتهم ومطالبهم، وغياب المجال السياسي مع تغييب الحريات الديمقراطية في البلاد.

لقد نشأت الحركة السياسية الكردية المنظمة في صيف 1957 كتراكم للنشاط القومي الثقافي والاجتماعي والسياسي الممتد من بدايات القرن على وقع الثورات المندلعة في كردستان إبان النضال من أجل الاستقلال عن العثمانيين وضد الفاشية الأتاتوركية لاحقاً، ومع كفاح أكراد العراق وإيران من أجل الحكم الذاتي.

بيد أن الحركة تلك حددت أهدافها منذ البداية في تأمين الحقوق الكردية في سورية ضمن إطار سورية ديمقراطية وضمن وحدة أراضيها. ولم تنشأ أية دعوة استقلالية كردية عن سورية حتى اليوم. وهذا ما أضفى الطابع السلمي على الحراك الكردي السوري وعدم وجود صدامات دامية (مع استثناءات قليلة جداً) مع السلطة المركزية، كما للعلاقات الاجتماعية الحسنة عموماً مع باقي مكونات المجتمع السوري، ما يتيح إمكان حل المشاكل الكردية العالقة. وعدم وجود تاريخ دموي وصاخب في الصراع الكردي مع السلطات المتعاقبة له تأثيران متناقضان هنا: الأول هو عدم ظهور مشكلة كردية كبيرة في سورية، والثاني إمكانية البناء على ذلك لإيجاد حلول لهذه المشكلة وللقضايا المتصلة.

فسورية مُدينة لأكرادها الذين لم يسيئوا لبلدهم ومواطنيهم يوماً ما، رغم التهميش والإقصاء المديد بَيْن، كما ساهموا بفعالية معروفة في استقلال سورية عن الاحتلال الفرنسي، وفي بناء الدولة الوطنية (قبل عهود الإقصاء)، وهم لم يتخذوا مواقع طائفية أو عنصرية قوميّة، ولم يرموا بوردة واحدة على شرطي واحد أو على عنصر مخابرات واحد، ولا بالطبع على مواطن عربي واحد، بمن فيهم من وطنتهم السلطات في مناطقهم بعد نزع ملكية الأراضي الزراعية الجيدة من فلاحيها ومالكيها الأصليين الكرد ومنحها لمواطنين عرب استقدموا من خارج المحافظة (الرقّة وحلب).

المسألة الكردية عادلة ومحقة قبل اندلاع الانتفاضة الشعبية بكثير وبعدها. ولا بد أن تعالج على مستويات متعددة: كقضية أساسية من قضايا العدالة الاجتماعية على المستوى السوري العام. وفي المجال السياسي، سوف تكون حاضرة وملحة بقوة كقضية ذات بعدين: التمسك بوحدة الدولة وطابعها العمومي والسعي لتقويتها، في مقابل الطلب الكردي القوي على اعتبارات دستورية وقانونية تكفل المساواة الجماعية (وليس الفردية فقط). هذا إشكال نظري وعملي أمام الفكر الاجتماعي والسياسي السوري. ومهمة المشتغلين في الحقل الثقافي والمعرفي تزويد الأطراف السياسية جميعها (قوى وأحزاباً ونشطاء شباناً...) بتصورات نابعة من الواقع أولاً ووضعها في إطار معرفي ممكن.

القضية الأساسية هنا هي ابتداع مفهوم جديد للمواطنة والمساواة وفتحهما على آفاق جديدة تنبثق من تاريخنا المعاش خلال قرن من تشكل الدولة السورية الحديثة، ومن واقع تعددية حقيقية موجودة لا متخيلة ولا طارئة.

دار الحياة اللندنية 13 / 5 / 2012

الجَولان المحتل: صراع إرادات أهلية وسباق تخريب محموم بين العدوّ والنظام!

■ حسان شمس

إنه لمِن سخريات القدر وغاية المرارة، أن يعيش المرء تحت سطوة احتلال إسرائيلي غاشم حالة استقرار تزيد عما يعيشه شعبه داخل الوطن! فعام ويزيد، وماكينة إجرام النظام السوري تُعمِل قتلا وتدميرا وتهجيرا واعتقالا في أربع جهات الوطن؛ فيما عيون الجولانيين، كما هي على الدوام، شاخصة إلى بلدهم وشعبهم منذ وطأت أقدام جنود العدوّ أرضهم.

أهالي الهضبة المحتلة، الذين سطّروا أروع ملاحم البطولة في صراعهم الطويل والمرير مع العدو الإسرائيلي، ولم يتركوا قضية عادلة إلا وقفوا إلى جانبها، مِن فلسطين إلى لبنان فالعراق؛ هم أنفسهم، أو إن استقام القول بعض مَن جيّر لنفسه منهم سلطة لا يملكها؛ ارتأوا تقبيض عذابات الأهل وتضحياتهم ومواقفهم المشرّفة تحت الاحتلال الإسرائيلي، وبالمجّان، إلى غير مستحقيها في وطنهم! وإلا، فكيف يستقيم لِمَن قاوم ظلم الاحتلال وقهره، طيلة تلك السنين، أن يزكّي ظلما آخر أشدّ مضاضة في وطنه؟

مِن النافل التذكير، أنّ مَن يدعمون الثورة في الجولان المحتل جهارا، نظّموا العديد مِن النشاطات والمظاهرات نصرة لها، وكانوا أول جهة، داخل الوطن وخارجه، تصدر بيانا واضح اللهجة عقب أسبوع على اندلاعها، رسمَ سقوطا مرتفعة وصل إليها الثائرون في وقتنا الراهن. لكن الصحيح أيضا، أنّهم ظلوا شريحة محصورة العدد، مورست عليها كافة أشكال التخوين والمضايقات والاعتداءات مِن قبل تيار أعمّ، تمادى المتطرفون فيه في ابتداع فنون الرقص على دماء شعبهم المذبوح وعذاباته، وتقديم قرابين الطاعة والولاء لنظام لم يكتفِ بالتخلي عن الجولان عام سبعة وستين في ظروف ملتبسة وحسب، ولا ببيع الجولانيين والشعب السوري عموما وعود تحرير مؤجلة مِن غير رصيد لأكثر مِن أربعة عقود؛ بل سجّل إخفاقا بمجمل القضايا التي ظل يتاجر ويقرقع بها، إلا في تصحير كلّ يا يمتّ إلى الحياة الإنسانية والسياسية في سوريا بصلة وإعدامها؛ ما جعله يمثّل كارثة وطنية، بكل مقياس، في عيون مَن ثاروا عليه وكثيرين غيرهم.

جمعة «بروتوكول الموت» في سوريا، كانون أول المنصرم، والتي كانت مجدل شمس المحتلة إحدى ميادينها، إذ شهدت مظاهرة لمؤيدي الثورة؛ صدحت فيها الحناجر لحرية الوطن وإسقاط النظام؛ شكّلت نقطة تحوّل بالغة على الساحة الجولانية، إن لجهة ترسيخ الانقسام والفرز بين مؤيّدي النظام ومعارضيه، أو لناحية فضح نزق أتباع النظام واحتياط البلطجة الجاهز لديهم للاستخدام بوجه كل رأي مخالف.

مِن «مآثر» نظام دمشق، أنه نجح أخيرا في ما عجزت إسرائيل عن فعله طيلة أربعة وأربعين عاما، لجهة شرخ المجتمع الجولاني، أفقيا وعاموديا! فلم يسبق لأهالي الهضبة المحتلة الذين وقفوا، منذ بداية الاحتلال، صفا متراصّا في وجه مخططاته الرامية إلى سلخهم عن انتمائهم السوري، رغم كل ما عصف بهذه المنطقة مِن تجاذبات وصراعات استقطاب، أن لجأوا إلى العنف لفضّ إشكالاتهم وفرض أجنداتهم على بعضهم البعض. فمحازبو النظام، الذين أقاموا العديد مِن مظاهر التأييد له مِن دون أي تدخّل مِن أنصار الثورة، لم يكتفوا بالاستهانة بالدم السوري المسفوح، ومحاولة تظهير مواقفهم على أنها المعبّر الحصري عن إرادة الجولانيين، في مسعى سافر لتزوير إرادة الأهالي، بل اعتمدوا كل صنوف التشهير والتهديد والإرهاب ومحاولة إقحام الهيئة الدينية للضغط على المعارضين وكم أفواههم، لمنعهم مِن إبداء أي تعاطف مع الثورة. وأخيرا وليس آخرا، ممارسة العنف الجسدي ضدهم؛ في مظهر «تشبيحي» لم يسبق لقرى الجولان المحتل أن عرفت له مثيلا. هذا عدا حملات التشهير المنظمة والتحريض التي يشنّها أتباع النظام بحقّ الأسير المحرّر وئام عماشة، والاعتداءات المتكرّرة على منزله، جرّاء مواقفه الداعمة للثورة ورفعه الصوت عاليا بوجه النظام.

قد يجد المراقب للشأن الجولاني مسوّغا مفهوما (رغم لا أخلاقيته) لمَن ربطوا مصيرهم، منذ زمن بعيد، بمصير النظام، وهم مقتنعون بالفعل بروايته التي ما انفكوا يلوكونها، وبأحقية خلوده، واستمروا بالعمل على الساحة الجولانية بما يشبه «تكليفا شرعيا» منه؛ أو لبعض الموالين لاعتبارات نفعية، ممّن خصّص النظام لهم رواتب شهرية لقاء تضرّر مصالحهم تحت الاحتلال، أو لأولئك الذين قرأوا مِنح طلبة الجولان المحتل في جامعة دمشق وتصريف محاصيل التفاح الجولاني في الأسواق السورية على أنها (مكرمات مِن القيادة)، لا على كونها واجبا على دولتهم الأم لدعم صمودهم في أرضهم المحتلة، وأنها في المحصلة تأتي مِن جيوب دافع الضرائب السوري لا مِن جيوب النظام نفسه. وقد يلحظ أيضا تحفظات البعض المستندة إلى التفكير بذهنية أقلّوية وما ينتج عنها مِن مخاوف، مبالغ فيها غالب الأحيان! علاوة على مَن يشكل الاحتلال لديهم حساسية مفرطة، أدّت إلى ما يمكن تسميته بـ «فوضى مشاعر وطنية»، دافعة بهم إلى حصر الانتماء للوطن مِن بوابة الولاء للنظام فيه. أمّا أن تتصدّر بعض الشخصيات الجولانية الموسومة بتعاملها الموصوف مع الاحتلال الإسرائيلي، والمفترض أنها منبوذة اجتماعيا ووطنيا واجهة المهرجانات والمسيرات المؤيّدة للنظام، فذلك مبحث آخر، لن يتّسع له المقام في هذه السطور القليلة.

مِن دون شك، أنّ أميز ما قدّمته الثورة، هو تكثيفها مشهدا تراجيديا سوريا طويلا، يعيشه الشعب منذ خمسين عاما ببضعة أشهر؛ إن لجهة إماطة اللثام عن عذابات السوريين وهول معاناتهم، أو لناحية كشف النظام عن وجهه الحقيقي وفائض الوحشية والإجرام الذي يتصف به. والحال، فأن يخوض نظام دمشق حرب «يا قاتل يا مقتول» داخل الأراضي السورية، رغم لا أحقيّتها ولا أخلاقيتها؛ فذلك لا يبدو بالأمر المستهجَن أو الشاذ عن ثقافته التي انتهجها منذ اليوم الأول لاختطافه الحكم؛ أما أن ينقل إستراتيجيته تلك إلى الساحة الجولانية المحتلة، دون الأخذ بالحسبان خصوصية هذه المنطقة، المتمثلة في خضوعها لاحتلال إسرائيلي منذ ما يقارب نصف قرن؛ فذلك يتجاوز كل مقاييس الخسّة الأخلاقية والنذالة السياسية والوطنية!

لكن على المقلب الآخر، مَن ذا الذي يعطي نفسه حق الادّعاء أن غالبية أهالي الجولان المحتل يدينون بولائهم المطلق للنظام!؟ ومَن هو الذي يمتلك قدرة على قياس رأي عام لمجموعة ما في أجواء مشحونة بكل صنوف الضغط والإرهاب والتخويف، وفي ظل وجود مئات الأسر الجولانية التي لديها أبناء يدرسون في جامعة دمشق، علاوة على مئات العائلات التي شتّت الاحتلال شملها عام سبعة وستين بين الوطن والجولان المحتل، إضافة إلى تلك المحاذير التي ظلّت، غالب الأحيان، تتحكم بمسارات ما يُعرَف بالأقليات ومصائرها، سيّما أن نظراءهم في السويداء وجبل الشيخ لم يحسموا موقفهم لصالح الثورة بعد؛ خلا بعض النخب والنشطاء، وذلك جرّاء ما انتهجه النظام بحقهم لعقود، مِن سياسات التهميش والتفتيت والقهر وشراء ضمائر بعض المتنفذين، ضمانا لإحكام قبضته عليهم، وجرّهم إلى قتال أهلهم واستخدامهم وقودا «لمعارك التحرير» التي يخوضها راهنا ضد شعبه وبلده؛ تماما على نسق ما فعلته إسرائيل بدروز فلسطين تحت يافطة حمايتهم، وأخفقت في تطبيقه على الساحة الجولانية؟!

ما ضاعف حظوظ نجاح العابثين في هذا المضمار وزاد مِن تأثير تلك الحسابات والاعتبارات، أن «أشباه الدول» التي ابتُليت بها شعوب المشرق العربي، عبر تسلط ديكتاتوريات على بعض دوله عجزت عن توفير حد أدنى مِن الشعور بالأمان لشعوبها، سيّما الأقليات منها، الأمر الذي دفعها إلى زيادة الانعزال والتقوقع، واعتماد الخلوة والكنيسة والجامع والحسينية ملاذا أوحد لها وملجأ أخيرا. لكن في السياق عينه، ورغم كل ما سبق، فإن ما لا يمكن تبريره أو التسليم به، هو استفزاز بقية مركبات الشعب وتحديها واستعدائها، أو الاستقواء عليها بأنظمة شمولية مترنحة زائلة، اختارت ألا تحاكي شعوبها إلا بلغة الحديد والنار؛ ما قد يرتّب آثارا سلبية، وربّما مدمّرة، لن يكون مِن السهل تخطيها لأجل بعيد.

خطيئة النظام السوري الكبرى وما فاقم الوضع على الساحة الجولانية، أنه لم يوفّر حتى أهالي هذه القرى المحتلة، مِن دائرة عبثه الأمني والطائفي. وذلك تجلّى، على سبيل المثال لا الحصر، بالجهود الجبّارة التي بذلها على صعيد حرق وليد جنبلاط (درزيا) يوم كان صقرا في حركة «14 آذار»، عبر استحضار وئام وهّاب، غير مرّة، إلى تلة الصيحات على خط وقف النار، شرقي مجدل شمس المحتلة، حيث يتخاطب الأهل في الجزء المحتل والمحرر بواسطة مكبرات الصوت، وإتباع ذلك بزيارات لكل مِن طلال أرسلان وسمير القنطار لذات الغرض؟ زد على ذلك حضور وهّاب الدائم في استقبال مشايخ الجولان المحتل أثناء زياراتهم السنوية إلى مقام النبي هابيل في سوريا، والتخريب المنظم الذي يمارسه، راهنا، في جبل العرب وجرّمانا وقرى جبل الشيخ، والذي ارتفع منسوبه، بصورة فضفاضة، بعد إعلان زعيم المختارة انحيازه المطلق للثورة السورية. ترى، هل كان لجنبلاط أن يُفسِد على النظام مساعيه أو الحد مِن تأثيرها، سواء في الجولان المحتل أو جبل العرب؟ كثيرة هي الأسباب التي تدعو إلى الاقتناع بذلك؛ لولا «انعطافته الدمشقية»، عقب «غزوة أيار»، التي وإن نجحت في تخفيف الاحتقان المذهبي في لبنان، لكنها أفقدته الكثير مِن وزنه ومدى تأثيره في الجوار.

بقي القول، إنّ أهالي الجولان، ورغم سنوات الاحتلال الطويلة والعجاف، ومحاولات الأخير الدؤوبة لفصلهم عن عراهم وأبناء جلدتهم، ظلوا على الدوام مشدوهين لدولتهم الأم ومنغمسين بكل تفاصيلها. فهواجس كثيرة وتساؤلات تدور في خلدهم هذه الأيام، عمّا ستؤول إليه أحوال وطنهم؛ إذ لسوريا في ذمّة إسرائيل ما مجموعه 1250 كم2، واثنين وعشرين ألفا مقيمين تحت الاحتلال، إضافة إلى نصف مليون مهجّر داخل الوطن. صحيح أن منطق الكثيرين هنا يدفعهم إلى التفاؤل والاستنتاج، أنه بمجرّد زوال كابوس النظام عن صدور السوريين سوف يجعل قضية تحرير الجولان تحصيل حاصل؛ لكن ذلك ربّما يمتد لأجل غير معروف، ريثما يكون الوطن استعاد عافيته. فمخاض الحرية الذي يشهده الوطن، رغم بشاعة ما يرتكبه النظام وهوله، والدم الغزير الذي يُسفَك ظلما، لا يمنع الجولانيين مِن محاكاة همومهم الخاصة والتفكير بطبيعة النظام المقبل، وصورة تعامل الوطن المستقبلية معهم كأبناء أرض محتلة.

صحافي من الجولان السوري المحتل
عن صفحات سوريا

كأس «العالم القادم».. سورية

■ أسامة محمد

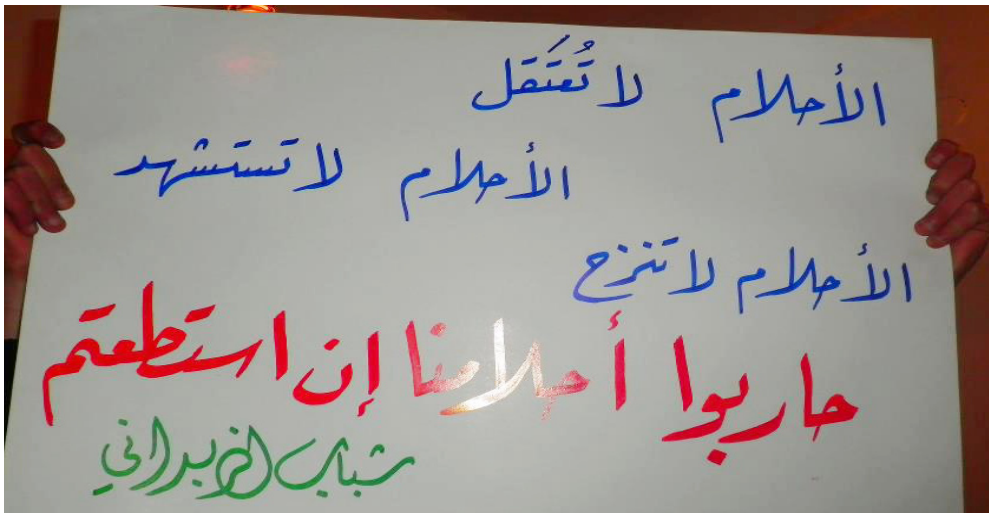

قد لا تصدقونني.. أنتم أحرار.. أرجو ذلك.. كما أرجوه لنفسي.

قد لا تصدقونني أنّ سوريا القادمة ستحصل على كأس «العالم القادم» بكرة القادم.

تسألون كيف؟

تقولون هذا تعصّب! لا والله ليس تعصباً.. أو أنّه على الأقل تعصبٌ علميّ.

وليغدو علمي علمكم.. ريثما نتفق على العلم.

أنا الذي سأسأل.. إي وشو ناقصنا؟

الحالة البدنية؟ الحالة الروحية النفسية؟ الحالة الذهنية؟ الحالة التقنية الفنيّة؟ والروح المعنوية؟.

كل هذه الأسئلة مردوده.. ولأفنّدنّها وأجلوَنّها بيّنةً واضحة وضوح الحقّ لأهل الحقّ واحدة واحدة باختصار يفرضه الآن. وضيقُ الوقت الضروري للتحضيرات الجارية على قدمين وساقين قوّمتا «دولاب» الأمن طلبا لـ«دولاب الهوى».

هل تعلمون أية خبرة تكتنزها أقدام السوريين. أية مخيلة؟

الحالة البدنية:

الجاهزية البدنية تحمل وسرعة ومرونة.

يعني أن تلعب ساعة ونصف ساعة بنفس الطاقة والتركيز.. ناهيك عن الشوطين المضافين في الأدوار النهائية.. وأن تتنفس بعد كل هذا وتسدد ضربة الجزاء.

لا بد أنكم تتذكرون « التحمل والسرعة « عند ألمان «رومينيغه» وجاهزيتهم الذهنية ما جعلهم في دقائق معدودات يقلبون خسارتهم أمام منتخب بلاتيني من 3/1 إلى 3/3 ويربحون بركلات الجزاء.

الجاهزية الذهنيّة لا تتوفر بسهولة تحت وطأة التراجع البدني.

والجاهزية الذهنيّة تُقيمُ العدلَ بين واحداتِ الزمن فلا تعتبر الدقائق الخمس الأولى «كخدّا» والأخيرة خلص «خلصت» وهذه الـ«خلصت» اختصاصٌ واجهَهُ السوريون وتخصصوا بالخلاص منه.

تقوم تدريبات التحمّل تقليدياً على كسر حاجز التحمّل .. ويعني أن تركض نصف ساعة إضافية بعد الشعور بالتعب ومن ثم تفتح خطواتك في الربع ساعة التالية وتنهيها ركضاً سريعاً صعوداً. ثمّ ... لا تلهث.

هنا يبدأ التفوق السوري ... فمن الصعب أن تجد شعباً ركض ما ركضناه.

من ومنذ درعا حتى صباح اليوم الجمعة.

أربعة أشهر وعام من الركض .. من اختراع مفهوم خارق للتحمل ...كلما تعبت منه وبه تركض أكثرَ وكلما «متّ» «تحيا».

كلنا نعرف التعبير الشائع «متّ من التعب» هذا الذي لم يحصل في سوريا اليوم.

يمكن القول إنّ المتظاهر السوري «مات من الموت أو من الرصاص أو القناص وليس من التعب».

من يستطيع منازلتنا في مسألة التحمّل؟ لا أحد.

باختصار لا أحد ولا اثنين ولا الثلاثاء «ميعاد حبيبي» ..فما بالك بيوم الجمعة و«الخلايق مجتمعه»؟!

وإذا كانت الدول المنافسة تطور برامج علمية للتحمل بدءاً مما اصطلح على تسميته باختراق الضاحية .. المترجم عملياً إلى ما بين الـ5 كيلومترات وصولا إلى 10 أو 16 تبعاً لساديّة المدرب.

بعد كل هذا.. واحتراماً لمفهوم علمي اسمه «الاسترجاع استعادة القوة المبذولة» يذهب اللاعبون للنوم.

منتخبنا لا ينام .. والأرقام تثبت أنه ركض ما متوسطه 14 شهرا نهاراً. بالإضافة إلى القسم الليلي.. والليل كما شاهدتم ركض وقفز في المكان وتموّج وغناء جماعي سواء أكان «سكابا على شهداء سوريا وشبابا» أو «جنّه جنّه جنّه» والعارف في أمر الفوطبول يعرف أن الرقص والقفز والغناء جَمَاعةً يُطور الهارموني والتخاطر اللحني بين الأفراد.. فـ«ميتوتي» الأرجنتيني الشهير الفائز بكأس العالم العام (1978) ومكتشف مارادونا .. وزّع روايات أدبية موحدّة ليقرأها اللاعبون وزجهم في عتمة صالات السينما ليحضروا نفس الفيلم معاً .. لرفع مستوى التخاطر والانسجام المزاجي والذهني.

على كل نحن المنتخب الوحيد الذي يستطيع اللعبَ ليلاً مع انقطاع الكهرباء.

لعنها الله حين تكهرب الأجساد وتُظلِم البلاد.

السرعة:

في مقام السرعة «السبرينت» نتذكر رومينيغه.. رونالدو الأول ورونالدو الثاني وميسي ومارادونا وهنري وبيلانوف.. ومجزرة الصنمين.

هل تتذكرون مجزرة الصنمين؟

هل تتذكرون السرعة الهائلة لفتيان وشباب وشيب يسابقون الرصاص. نحو عدسة الموبايل الثابت والمنخفض.

أنا لا أنساها... ومنذ رأيتها وأنا أتعجب..

لم أكن أتخيل سوريين بهذه السرعة.

اشتهيت أن يرى المعري نبوءته. وفاء مواطنيه لشعره هنا في الصنمين وهنا في المعرة.

«طرْ إن اسطعت في الهواء رويداً «.. كانوا يطيرون.. والموت كان رويدا...

في تدريبات السرعة التقليدية... كان مدربنا يُهرولنا ثم يُصفّق فننطلق 15 متراً سرعة قصوى.. يصفق فنهرول من جديد.

شعب بسابق الموت:

أول ثلاثة مدربين في حياتي.. كانوا بلا صافرة. كانت الصافرة حكراً على الحكم.

يصفق فنتدرب على سرعة الانطلاقه وسرعة الاستجابه «الريفلكس» وسرعة تغيير الاتجاه. يصفق فنغير اتجاه الركض من الأمام لليمين أو يصفق فتستدير وتسرع في الاتجاه المعاكس.

ثم يصفق فتستدير.. كل هذا التصفيق لم يوصلنا كأس العالم.

الصافرة اليوم متوافره... صافرة القذيفة والصاروخ. والرصاصة.. الرصاصة صافرة القناص.

هل تتخيل معي ردة الفعل؟ السرعة؟ هل تتخيل شعباً بين قوسين يسابق الموت؟

نحن أول شعب يغير من بدهية «لا تسرع... الموت أسرع»

وبغض النظر عن أهمية هذه الحكمة في الحوار والسياسة وقبول الآخر. والمسألة الطائفيّة.

فالسوريون وفق الأرقام والإحصاءات العلمية سبقوا الموت.

السوريون الذين تمكنوا من سبق الموت أكثره حتى اللحظة.

شبابنا جاهزون.

من يستطيع مجاراتهم في التحمل والسرعة وردّة الفعل؟ لا أحد.

هكذا يتضح أننا سنتخطى مرحلة المجموعات ونصعد للدور الثاني (الـ16).

السرعة في كرة القدم لا تكفي.. فالركض هنا ليس مستقيماً.. ليس ركضاً للركض

ولا سرعة من أجل السرعة.. هنا ثمة منعطفات وتغيير اتجاه حادّ الزاوية والزمن. أنظر الرسم التوضيحي لـ«ميسي».

والله إني لأرى ألف ميسي في شوارعنا المقدسة.

هل تعرف ما هو الدريبل؟ يسمونه بالعامية الترقيص. أن ترقّص الخصم.. تأخذه يميناً وتذهب يساراً فيذهب يساراً فتصبح يميناً ثم تتقدم أو تمرر.

الجمهور يحب هذه اللحظة.. ويحب التبييص.. أو تمرير الكرة من بين قدمي الخصم.. إشارة إلى سحقه نفسياً وسحق جمهوره..؟

ثمة عداؤون أسرع من ميسي ولم يفلحوا في الملاعب... لبطء في المخيلة.

ليس الدريبل صدفة ولا سرعة ولا مرونة ولا عضلات. الدريبل هو فارق سرعة المخيلة بين الـ ميسي والـ لا ميسي.

أخي ميسي.

أي «دريبل» يمكن مقارنته بدريبل الموت! تمرير الحياة من بين قدمي الموت؟!!!.

أي تحمل وسرعة وتركيز وروح معنوية وإعداد نفسي.. أكثر من هذا الذي ترى هنا في شوارعنا الخضراء.

هل من شكٍ أننا سنتخطى ربع النهائي؟ بالطبع لا.

هل أحدثك عن الكره الشاملة... التي أنقذت السوريين .. عن تبادل المراكز بين المدن والأحياء.. والأموات أيضا.. «نحنا معاكي للموت» .. نحن الكرة الشاملة.

وماذا ينقصنا لنصف النهائي؟

الطاقم الطبيّ؟ هه.. نحن من نجري بلا ليزر عملية استئصال رصاصة على ضوء ابتسامة.

وتسألونني عن النهائي.

لا تسأل من سبق ولعب كرة القدم عنها فهو وبلا ريب قادر على كتابة ألف ليلة وليلة بليلة واحده. وسوف لن تصادف أحداً مدّا فوق سن الخمسين يتعفف عن الكذب.

أجمل لحظات عمري كانت التسديدة التي ارتطمت بالعارضة وارتدت لترتطم بعارضة مرماناً على بعد 100 متر ثم عادت راضية مرضيّة .. ولم تعد.

من مدّا لم يحرز كأس العالم فليرمني بحجر.

كل ما تبقى هو المباراة النهائية.

ونتيجتها بديهة ومضمونه ولا تستحق صفّ المزيد من الكلام.

وإذا كنت لم تقتنع بدراستي العلميّة أعلاه .. فمن الواضح أنك شبيّح.. وأنك أنت أيضاً ركضت وطاردت وقاتلت وقتلت واعتقلت المتظاهرين 14 شهراً. بس ليش؟ «حرام عليك».

يبدو أننا ستتواجه في نهائي «العالم القادم».

سوريا ستربح.

وقبل رفع كأس «العالم القادم» سنقف دقيقة صمت على أرواح الشهداء:

أحمد نضال ملندي «24 عاماً - محافظة إدلب» بطل سوريا في الشطرنج - بعد تعرض منزله للقصف من قوات النظام . وحسام راتب الشعار.. مدرب مدارس الكره في الوثبة الحمصي الذي استشهد قنصاً وهو يوزع الخبز.

وشهداء نادي الكرامة وفق «غوغل»: رئيس فرع الحزب الأسبق بحمص، ورئيس النادي الأسبق المهندس «غازي زغيب» الذي استشهد وعائلته في بابا عمرو. ولاعب الكرامة «أحمد سويدان» الذي استشهد في القصف العشوائي على حي القرابيص، ولاعب منتخب الناشئين ونادي الكرامة «عبد الرحمن صبّوح» ..أحد شهداء المجازر التي تلت اقتحام حي بابا عمرو. والشهيدان «طارق الأسود» و«أنس الطرشة» بعد سقوط قذيفة على سيارتهما في شارع الكورنيش.

«طارق» و«أنس» كانا زينة مُشجعي حمص - الكرامة .. ومنشدي علم الجمال الكروي ..على مقام:

«ما بَدْنَا الدَوري وما بَدْنا الكاسْ.... بَدْنا لعَيبه بتْعَيبِ الراسْ»

السفير 18 5 / 2012

نكبة فلسطين - الجرح الغائر

■ خالد كنفاني

إن تحويل فلسطين من بلد عربي إلى بلد يهودي، وطرد الشعب الفلسطيني من دياره ووطنه وإحلال اليهود محله كان الهدف الأول للحركة الصهيونية وهي "حركة سياسية عدوانية". وقد سهل "وعد بلفور" الوصول للهدف، انتظر الصهيونيون من بريطانيا العظمى، أن تتم مهمتها وتقدم فلسطين لهم على طبق من فضة خالية من أهلها الأصليين وحين لم يتم ذلك، قرر الصهيونيون الوصول إليه بأنفسهم، وقد نفذوه بأبشع الوسائل والطرق الوحشية، تؤكد ذلك مجمل الممارسات الصهيونية عشية الإعلان عن قيام إسرائيل وما صاحب ذلك من تمييز عنصري وقهر واضطهاد للسكان الفلسطينيين عبر تدمير قراهم والاعتداء على بلداتهم وتجمعاتهم السكنية بوسائل عدة: نفسية ومادية، جمع القادة الصهاينة بينها ببراعة ودهاء، اتسمت بالإرهاب والفظاعة وارتكاب المجازر والمذابح، أدت في النهاية إلى إخلاء وطرد الفلسطينيين وترحيلهم عن قراهم ومنها:

الإرهاب اليهودي

طرد السكان الفلسطينيين من بيوتهم ووطنهم بالمذابح المحسوبة، فقد انقاد الشعب اليهودي للصهيونية المجرمة وشارك منفعلاً في أبشع مذابح اقترفت في هذا العصر، والذي قصد منها كسر الروح المعنوية للفلسطينيين ودفعهم إلى الفرار "اللجوء"، علما بأن التسجيل الكامل للكيفية والنوعية التي طرد بها الفلسطينيين يتطلب مجلداً ضخماً، وليست مذبحة دير ياسين في 1948/4/9م إلا واحدة من سلسلة مذابح نظمتها العصابات الحاقدة، ومع أنها المجزرة التي اشتهرت أكثر من غيرها، حيث جرى توثيقها على نطاق واسع وبدقة كبيرة، وقد بلغ عدد ضحاياها عدة مئات حوال254 من شيوخ ونساء وأطفال*، إلا أنها لم تكن المجزرة الوحيدة، أو أكبر المجازر التي ارتكبت فقد كانت مجزرتا الدوايمة قضاء الخليل، ومذبحة اللد أكبر وأبشع وقد نظمت العصابات الصهيونية العديد من المذابح والمجازر للشعب الفلسطيني الآمن في وطنه حوالي 25 مجزرة منها: مذبحة سعسع في 4/16، ومذبحة سلمة في 3/1، وبيار عدس في 3/6، ثم مذبحة القسطل في 4/4، ومذبحة طبريا بتاريخ 4/17، ومذبحة سريس في نفس التاريخ، وحيفا في 4/20، والقدس في 4/25، ويافا في 4/26، ومجزرة عكا في 4/27، ومذبحة صفد في 5/7، وبيسان في 5/9، ولا نغفل مذبحة ناصر الدين، وما ارتكبوه في مذبحة قبية 1953م، وكفر قاسم، وتحالين والسموع ومذبحة الطنطورة.. الخ. راح فيها آلاف المواطنين الأبرياء معظمهم من الشيوخ، والنساء والأطفال على أثر هذه المذابح الحاقدة الهمجية غدا الفلسطيني أمام خيار مر: الموت أو الهرب واللجوء.

فقدان وانهيار الأمن

يؤكد هذا جنرال إنجليزي بأن قضية اللاجئين وأسبابها ترتبت على "أعمال اليهود الوحشية"، ويكذب الإدعاءات الإسرائيلية بأن الفلسطينيين خرجوا على إرادتهم ومن تلقاء أنفسهم، وليس عنوه، ويقول بأن "العربي الذي يغادر أرضه، راضياً، كان من الواجب عليه أن يبيع بيته، إذا كان يملك بيتاً، أو يحمل أمتعته، وأن يستعد لهذا الرحيل، على الأقل ولكن أن يغادر بلده، دون أن يحمل شيئاً، ودون أن يعرف مصير عائلته، وأن يقتل أبنه على يديه، حتى لا يفكر في العودة. إن عربياً خرج من فلسطين مع هذه الطريقة، لم يغادر راضياً، إنما اليهود أجبروه على الخروج، تحت وطأة الخوف والإرهاب، على أثر المجازر والمذابح الرهيبة التي نفذوها في طول وعرض البلاد*.

فقدان الجهاز الحكومي

من الأسباب التي ساهمت في خروج المواطنين سنة 1948م، كان انهيار الأمن والأنظمة الإدارية أثناء انتهاء الانتداب، فبعد انتشار العنف والرعب بسبب الإرهاب والمجازر التالية لصدور قرار التقسيم، ظلت الحكومة البريطانية عاجزة عن صيانة القانون والنظام في فلسطين، ولم تكن مستعدة لتوريط قواتها في سبيل هذا الهدف، والدليل على انعدام أية سلطة للحكومة في تلك الأيام العصيبة، قد أثبته الواقع حينما حدثت المذابح العديدة، فلم تكن هناك سلطة تعترض أو تحاول منع المذابح أو تساعد في إسعاف الجرحى، أو حتى في إنقاذ أو دفن الضحايا.

بداية الحكاية

في ربيع عام 1948 بدأت القوات الاسرائيلية بتنفيذ خطتها لاحتلال الاراضي الفلسطينية التي كانت موعودة بها قبل سنتين بناءا على تقسيم فلسطين فحشدت قوات تبلغ خمسين الف جندي صهيوني مقابل الفين وخمسمائة مقاتل شعبي من المتطوعين العرب والأهالي الفلسطينيين ولكن القوات الغازية ما لبثت أن ازدادت الى مائة وواحد وعشرين ألفاً مقابل أربعين الف جندي عربي تحت قيادات متعددة.

واحتلت القوات الغازية 213قرية فلسطينية وطردت كافة سكانها، لكن الامم المتحدة أمرت بإعادة كافة المطرودين الى بلادهم وأرسلت مبعوثا من عندها ولكن العصابات الصهيونية قامت باغتياله بامر من اسحاق شامير (رئيس وزراء اسرائيل فيما بعد). في ذلك الوقت بدأت القوات البريطانية بالانسحاب من فلسطين تدريجيا بخطة مدروسة وتسليمها الى اليهود.

وفي كل مدينة ينسحب منها الانجليز بدأ الصهاينة بشن هجمات وحشية على السكان الفلسطينيين فيها وذبحهم وطردهم من أوطانهم، وكان العدو يقدم لهذه الهجمات بحرب نفسية عبر مكبرات الصوت والمنشورات المرعبة للسكان وبدأت المذابح تتوالى على مدن وقرى فلسطين ومن أهمها مذبحة دير ياسين مما ادى الى نشر الرعب في كل الوطن بين السكان وقد قسم الصهاينة حربهم على مراحل بين الحرب النفسية واستخدام القوة المفرطة من الذبح والتنكيل بسكان فلسطين.

وحتى أيار من عام 1948 وفي يوم 1948/5/15 كانت القوات الصهيونية قد احتلت عن طريق المذابح والترويع واعمال القتل الجماعي مناطق فلسطينية اكثر بكثير مما نص عليه قرار تقسيم فلسطين الظالم اصلا. فقد وقع سكان فلسطين تحت خيارين حلوهما مر وهو اما ان يتركوا ديارهم او يبقوا ينتظرون الذبح الجماعي.

وما إن حل شهر ديسمبر من عام 1948حتى أصبح عدد اللاجئين الفلسطينيين ثمانمائة الف مشرد من

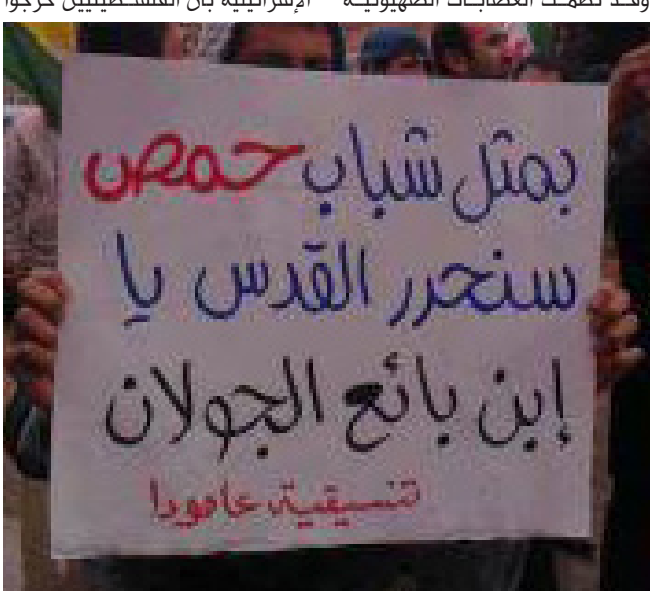

حوالي 531 قرية ومدينة فلسطينية. وبعد هزيمة القوات العربية التي جاءت لانقاذ فلسطين تم اعلان قيام الكيان الصهيوني واعلن قيام دولة اسرائيل في 1948/5/14 على ما مساحته ٪78 من الاراضي الفلسطينية أي بزيادة ٪25 عن مشروع التقسيم.

قد لا تكفي كلمة "النكبة" للايفاء بالتعبير عما حصل للشعب الفلسطيني، وخاصة اذا ما نظرنا إلى ما تلاها من احداث دامية وصعوبات قاسية. إن ما حل بالشعب الفلسطيني من جراء احتلال أرضه وبلاده فلسطين من قبل مهاجرين يهود جاءوا على فترات، وشكلوا على أرضه وبدلا منه كيانا جديدا قام على انقاضه، وعلى حساب تواجده الذي استمر متواصلا لفترات طويلة من التاريخ المغرق في القدم والحضارة.

نكبة فلسطين بالأرقام

• 1. 4 مليون فلسطيني أقاموا في فلسطين التاريخية قبل نكبة فلسطين في العام 1948.

• 605، 000 يهودي أقاموا في نفس الفترة وشكلوا ٪30 من مجمل سكان فلسطين.

• ٪93 من مساحة فلسطين التاريخية تبعت للفلسطينيين مع بداية حقبة الانتداب البريطاني على فلسطين.

• ٪7 من مساحة فلسطين التاريخية، خضعت للصهاينة عند صدور قرار التقسيم في تشرين ثاني 1947.

• ٪56 من مساحة فلسطين التاريخية منحت "للدولة اليهودية" بموجب قرار التقسيم في تشرين ثاني 1947.

• ٪50 تقريباً (نحو 497000 عربي فلسطيني) من سكان "الدولة اليهودية" المقترحة كانوا من العرب الفلسطينيين.

• ٪80 تقريباً من ملكية الأراضي في "الدولة اليهودية" المقترحة كانت تتبع للفلسطينيين.

• 725، 000 عربي فلسطيني مقابل 10000 يهودي هم سكان "الدولة العربية" المقترحة بموجب قرار التقسيم.

• 531 قرية ومدينة فلسطينية طهرت عرقياً ودمرت بالكامل خلال نكبة فلسطين.

• ٪85 من سكان المناطق الفلسطينية التي قامت عليها إسرائيل (أكثر من 840، 000نسمة) هجروا خلال النكبة.

• ٪93 من مجمل مساحة إسرائيل تعود إلى اللاجئين الفلسطينيين.

• ٪78 من مجمل مساحة فلسطين التاريخية، قامت عليها إسرائيل في العام 1948.

• 17، 178، 000 دونم صادرتها إسرائيل من الفلسطينيين في العام 1948.

• 150، 000 فلسطيني فقط بقوا في المناطق التي قامت عليها إسرائيل.

• 30، 000-40، 000 فلسطيني طهروا عرقياً داخلياً خلال نكبة فلسطين.

• 400، 000 فلسطيني أو ثلث تعداد الشعب الفلسطيني طهروا عرقياً من دياره حتى ربيع 1948.

• 199 قرية فلسطينية ممتدة على، 3363، 964 دونم هجرت حتى ربيع 1948.

• 15، 000 فلسطيني قتل خلال النكبة.

• أكثر من 50 مذبحة "موثقة" وقعت بحق الفلسطينيين في العام 1948.

• 700، 000 دونم صادرتها إسرائيل من الفلسطينيين بين أعوام 1948-1967.

• ٪70 من الأراضي التابعة للسكان الفلسطينيين تحولت للأيدي الصهيونية بين 1948 وأوائل الخمسينيات.

• ٪50 من الأراضي التابعة للفلسطينيين الذين بقوا في أراضيهم داخل إسرائيل تحولت للأيدي الصهيونية بين الأعوام 1948 و 2000.

• ٪75 تقريباً من مجمل الفلسطينيين اليوم هم لاجئون ومطهرون عرقياً.

• ٪50 تقريباً من مجمل تعداد الفلسطينيين يقيمون قسرا خارج حدود فلسطين التاريخية.

• ٪10 تقريباً من مجمل أراضي فلسطين التاريخية تتبع اليوم للفلسطينيين.

المصادر

* صحيفة حق العودة، العدد رقم 17 (عدد خاص)، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، آيار 2006

* نور الدين مصالحة، طرد الفلسطنين ومفهوم الترانسفير والفكر والتخطيط الصهيوني 1948-1982، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

* شريف كناعنة، الشتات الفلسطيني، هجرة أم تهجير. مركز اللاجئين و الشتات الفلسطيني (شمل)

* د. سليمان أبو ستة، حق العودة للشعب الفلسطيني على ضوء تطورات التسوية السلمية. "محاضرة نظمتها " المركز العربي لبحوث التنمية و المستقبل "، القاهرة 1996/1/8

* بيني موريس، طرد الفلسطنين وولادة مشكلة الاجئين، وثيقة إسرائيلية. دار الجليل للنشر و الدراسات و الأبحاث الفلسطينية، عمان، ط1، 1993

* جندي مع العرب / مذكرات غلوب باشا. ترجمة حسن الصمدي، بيروت، دار الناشرين الجامعين

عطا الأيوبي 1877 - 1951

■ ياسر مرزوق

ولد عطا الأيوبي عام 1877 في دمشق، والده محمد علي الأيوبي من وجهاء دمشق، وآل الأيوبي أسرة كردية سياسية بارزة في دمشق، ترجع جذورها لفترة حكم «صلاح الدين « لدمشق والذي أقطع أجداد الأيوبي أراض واسعة في منطقتي الربوة ووادي بردى، حتى أن بعض المراجع تسبق اسم الأيوبي بلقب أمير لما لأسرته من مكانة بين الأكراد الدمشقيين تلقى علومه في دمشق، ثم انتقل للأستانة حيث درس في الكلية العسكرية الملكية العثمانية، كما درس الإدارة العامة والآداب، وبدأ حياته المهنية في الخدمة المدنية العثمانية.

في 1908، أصبح حاكماً لمدينة اللاذقية، لم يلعب دوراً مهماً في فترة الصراع العربي العثماني خلال السنوات 1916 - 1918، بقي في دمشق بعد هزيمة العثمانيين في تشرين الأول 1918. وخلال الأيام الأربعة الفاصلة بين رحيل الأتراك ووصول الجيش العربي، تم عقد اجتماع بمثابة « مجلس شورى « مصغر في مدينة دمشق برئاسة الأمير عبد القادر الجزائري « الحفيد» وحضره الشيخ طاهر الجزائري وبديع المؤيد العظم وفارس الخوري وعطا الأيوبي..... وغيرهم من وجهاء دمشق وفعالياتها، وسموا الأمير سعيد الجزائري رئيساً للحكومة ورفعوا « علم الثورة العربية الكبرى « على دار البلدية.

في 30 أيلول عام 1918 تشكلت حكومة علي رضا الركابي وكان الأيوبي وزيراً، واستمرت الوزارة حتى عام 1920 العام الذي توج فيه السوريون فيصل بن الحسين ملكاً عليهم. ولم يلبث غورو أن توجه للسوريين بإنذاره المشؤوم وهاجمت الجيوش الفرنسية سورية لإخضاعها والسيطرة عليها. كان عطا الأيوبي ضد هذا التدخل الفرنسي وأقام علاقات مع المناضلين السوريين وكان يعمل على تمويل الثوار بالأسلحة والأموال ومنهم صالح العلي، زعيم الثورة في الساحل السوري، وإبراهيم هنانو، زعيم تنظيم «حلب الثورة» في اللاذقية، ويقال أنه غض النظر عن أنشطة عمر البيطار ورفض، بصفته وزيراً للداخلية، إلقاء القبض على المتمردين، وكان يعطي الثوار المعلومات لوضع الكمائن على الحاميات الفرنسية. كما كان وزيراً خلال معركة ميسلون الشهيرة حيث هزم الجيش السوري من جانب الجيش الفرنسي واستشهد في تلك المعركة زميله يوسف العظمة وزير الحربية.

أراد عطا الأيوبي بعد معركة ميسلون اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية لتحرير سوريا وقبل بمنصب وزير الداخلية في حكومة علاء الدين الدروبي الموالية لفرنسا. وفي آب 1920، قامت مجموعة من الرجال المسلحين بمحاولة قتله وذلك في منطقة حوران في جنوب سوريا متهمة إياه بالخيانة لقبوله منصباً وزارياً تحت حكم «الانتداب الفرنسي». فشلت محاولة الاغتيال في قتله أو حتى في إقناعه بالتنحي، واحتفظ بمنصب وزير الداخلية خلال حكومتي جميل الألشي وحكومة حقي العظم عام 1922، عام 1924 عهد إليه بوزارة العدلية في حكومة صبحي بركات واحتفظ بمنصبه حتى بدء الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي في 1925. ويرى البعض أن الرجل كان يستعمل مركزه لخدمة الثوار والعمل على استقلال سوريا.

في عام 1928 تحالف عطا الأيوبي مع «الكتلة الوطنية» دون أن ينتسب رسميا إليها. كانت هذه الكتلة تدعو لتحرير سوريا من خلال الوسائل الدبلوماسية بدلاً من المقاومة المسلحة. خلال الثلاثينات من القرن العشرين، كان الأيوبي يلعب دور الوسيط بين الجانبين وتسلم وزارة العدل في حكومة تاج الدين الحسني في آذار مارس 1934.

تدهورت العلاقات بين الكتلة الوطنية والفرنسيين تدهوراً حاداً في عام 1936، وكانت الشرارة التي أشعلت الحريق قرار رفع أجرة الترام نصف قرش، حيث أقدمت الشركة البلجيكية المشغلة للمشروع على هذه الخطوة التي باركتها سلطات الانتداب الفرنسي يومها، وهو ما أثار حفيظة الوطنيين السوريين وعلى رأسهم فخري البارودي الذي دعا إلى القيام بحملة احتجاجات ضد السلطة الفرنسية المنتدبة واندلعت شرارة المواجهات وامتدت سريعا إلى مختلف المحافظات السورية ودعا قادة التكتل الأمة باتفاق سري مع عطا الأيوبي إلى الإضراب العام الذي شل الحياة التجارية، وامتد هذا الإضراب قرابة الستين يوما لذلك أطلق عليه الإضراب «الستيني « حيث امتنع الموظفون عن الذهاب إلى عملهم وأغلقت المحال أبوابها وقامت مجموعة من الطلاب بالوقوف على جسر فكتوريا لمنع وصول الطلاب إلى الجامعة، وصارت مجموعة أخرى من الطلاب أيضاً تنشر قوائم سوداء تضم أسماء الطلاب الذين يداومون في الجامعة.

و توج الإضراب بإسقاط حكومة تاج الدين الحسني وشكلت وزارة في 24 /2/ 1936 برئاسة عطا الأيوبي لتدير المفاوضات بين الكتلة الوطنية وفرنسا بعد أن أيقنت فرنسا أنه لا سبيل أمامها سوى اللجوء إلى المفاوضات وتكوّن وفد من الكتلة الوطنية برئاسة هاشم الأتاسي وسعد الله الجابري وفايز الخوري وعبد الرحمن الكيالي وعفيف الصلح.. وجرت المفاوضات بين الكتلة الوطنية والمفوض السامي للانتداب دومارتيل يوم 28 من شباط 1936م في مدينه بيروت حول إيقاف الإضراب وبحث القضية السورية وهو ما قاد إلى معاهدة 9 أيلول 1936 والتي اعترفت فيها فرنسا باستقلال سورية كدولة مستقلة.

أواخر عام 1939 استقال الرئيس هاشم الأتاسي وعطل العمل بالدستور وتشكلت حكومة مديرين برئاسة بهيج الخطيب بعد أزمة سياسية حادة واندلاع الحرب العالمية الثانية، واستمرت حكومة الخطيب حتى 1941 حين شكلت حكومة مؤقتة برئاسة خالد العظم ثم عهد إلى تاج الدين الحسني رئاسة الجمهورية بالتعيين مع عودة الدستور وتم الاعتراف «باستقلال سوريا» ريثما تهدأ الحرب لتنظيم انتخابات نيابية، وكانت هذه الخطوات محاولة لإرضاء السوريين من قبل فرنسا الحرة في وجه فرنسا الفيشية الموالية للمحور. وفي يناير 1943 توفي رئيس الجمهورية وهو على رأس عمله، وغدا رئيس الوزارة جميل الألشي رئيسًا مؤقتًا للجمهورية وفق أحكام الدستور، غير أن عهده لم يطل ففي 25 مارس 1943 قرر المفوض الفرنسي الجنرال كارتو القفز فوق الدستور وأنهى حكومة الألشي وكلف الأيوبي تشكيل حكومة مؤقتة. تسلم الأيوبي فيها إضافة للرئاسة حقيبتي الدفاع والداخلية، ويقول يوسف الحكيم الذي عاصر تلك الفترة، إن هذه الحكومة قد عملت «بصدق وعزيمة وإخلاص» ومهدت لإجراء الانتخابات النيابية، كما قام الأيوبي بأعمال رئيس الجمهورية، من 25 آذار حتى 16 آب من العام نفسه على أثر وفاة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني وأشرف على الانتخابات الرئاسية. ليترك منصبه في آب أغسطس 1943، ويستقيل من الحياة السياسية وذلك إبان انتخاب الرئيس شكري القوتلي رئيساً للدولة. كرمته الكتلة الوطنية إبان الاستقلال في نيسان أبريل 1946. وذلك للدور العظيم الذي لعبه في مساعدة الثوار والكتلة الوطنية في تحقيق الاستقلال السوري. كان عطا الأيوبي قوميا كرس نفسه لخدمة سوريا واستقلالها ولم يكف يوماً عن استعمال مركزه السياسي لتقديم الخدمات للثوار من أجل تحقيق الاستقلال.

بقي على رأس عمله كعضو لمجلس إدارة شركة الإسمنت حتى عام 1950 توفي عام 1951ودفن في دمشق، وقد أطلق اسم عطا الأيوبي على شارع من أجمل شوارع دمشق، ولا يزال القصر الذي كان يقطنه الأيوبي نموذجاً للعمارة في دمشق في العصر الحديث.

شركة المحاصة في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

وقد أعطى القانون الشركات الجديد الصادر المرسوم التشريعي رقم/29/ لعام 2011مساحةً واسعةً من المرونة للشركات حيث تضمّن أنواعاً جديدة من الشركات التي يحتاجها الاقتصاد السوري وهي:

1. الشركات التجارية: والتي تكون غايتها الأساسية في ممارسة عمل تجاري أو إذا اتحدت شكل شركة مساهمة أو محدودة المسؤولية.

2. الشركات المشتركة: وهي التي تساهم فيها الدولة أو إحدى الجهات العامة بنسبة معينة من مالها، وتخضع هذه الشركات للقواعد والأحكام المنصوص عليها في القانون الخاص بها.

3. شركات المناطق الحرة: وهي التي يكون مركزها في إحدى المناطق الحرة في سوريا، وتكون مسجلة في سجل الشركات في إحدى هذه المناطق، وتتخذ هذه الشركة شكل شركة التضامن أو التوصية البسيطة أو المحدودة المسؤولية.

4. الشركة القابضة: وهي شركة مساهمة يقتصر عملها على تملك حصص في شركات محدودة المسؤولية أو أسهم في شركات مساهمة أو الاشتراك في تأسيس مثل هذه الشركات، والاشتراك في إدارة الشركات التي تمتلك فيها حصصاً أو أسهماً.

5. الشركات الخارجية: وهي التي تكون غايتها محصورة بإبرام العقود والقيام بأعمال يجري تنفيذها خارج أراضي الجمهورية العربية السورية دون أن يحق لها ممارسة أي نشاط داخل سوريا.

6. الشركات المدنية: وهي التي تؤسس بين شركاء من ذوي الاختصاص والمهن الفكرية، أو التي يكون موضوعها مدنياً وتخضع لأحكام القانون المدني وأحكام القوانين الخاصة بها وعقودها وأنظمتها الداخلية. أما الشكل القانوني للشركات في سوريا فقد حددته المادة /5/ من القانون الجديد بان تكون الشركة متخذة شكل شركة تضامن أو شركة توصية أو شركة محاصة أو شركة محدودة المسؤولية أو شركة مساهمة.

كما وتطبق أحكام قانون الشركات الجديد على جميع الشركات التي تمارس الأعمال التجارية والمؤسسة في الجمهورية العربية السورية، أما عقد الشركة المتعلق بالشركات المنصوص عليها في هذا القانون فتطبق بشأنه القواعد المنصوص عنها في القانون المدني بشرط ألا تكون تلك القواعد مخالفة لأحكام هذا القانون صريحة أو ضمنية.

شركة المحاصة

لا يوجد في القانون تعريف لشركة المحاصة إلا أنها شركة تقوم بين شخصين أو أكثر وتتميز عن باقي الشركات بأن كيانها القانوني مقتصر على العلاقة بين الشركاء المتعاقدين. وهي شركة مستترة لا تتمتع بالشخصية المعنوية ولا وجود لها بالنسبة إلى الغير وتقتصر آثارها على الشركاء فقط. وهي شركة غير معدة لاطلاع الغير عليها كونها لا تخضع لإجراءات الشهر وقد تؤسس للقيام بعمل واحد أو عدة أعمال متفرقة وقد تؤسس لتعاطي أعمال متكررة ولفترة طويلة. ويتم اللجوء لشركات المحاصة في تنظيم العلاقة بين الشركاء في المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وذلك لانخفاض تكلفتها المادية وكونها ضامنة للحقوق. وشركة المحاصة تقوم على الاعتبار الشخصي وبالتالي فلا يحق لأي شريك أن يتنازل عن حصته إلا بموافقة باقي شركائه ولشركة المحاصة خصائص:

1 - فهي لا تشترط الكتابة وبالتالي ليست معدة لاطلاع الغير عليها نظراً للعلاقة التي تربط بين المتعاقدين فعندما تمارس الشركة أي عمل من الأعمال فهي تتعاقد بالاسم الشخصي لأي من الشركاء سواء أكان المدير أو أي شريك آخر وفي حال تم توقيع أحد الشركاء على عقد فإنما يتعاقد باسمه ويلتزم شخصياً بأثار العقد من قبل من تعاقد معه أم فيما بين الشركاء فأن الشركة قائمة وموجودة كأي شركة يحكمها الاتفاق.

2 - شركة المحاصة ليس لها شخصية مستقلة عن شخصية الشركاء ويترتب على ذلك:

أ- بأن الشركة ليس لها ذمة مالية مستقلة عن ذمة الشركاء بحيث أنه يبقى رأسمال الشركة ملك للشركاء كل حسب ما قدم من حصة

ب- ليس للشركة عنوان تجاري وليس لها موطن ولا جنسية.

ج- لا يجوز مقاضاة الشركة وإنما في حال حصول خلاف فيتم مقاضاة الشريك الذي تعاقد بصفته الشخصية.

د- في حال الإفلاس فإنه يتم شهر إفلاس الشريك الذي توقف عن دفع دين من الديون التي التزم بها لحساب الشركة.

- إن شركة المحاصة ونظراً لعدم وجود شخصية قانونية مستقلة بها فهي لا تخضع لقواعد تصفية الشركات وإنما يتم تصفيتها عن طريق المحاسبة بتقديم حساب من المدير أو الشركاء عما قاموا به من أعمال لحساب الشركة وتتم مراجعة هذه الحسابات من قبل الشركاء بحيث ترد الحصص العينية لأصحابها ثم يتم توزيع الأرباح والخسائر بحسب الاتفاق وفي حال عدم وجوده فيتم التوزيع بحسب الحصص في رأس المال.

- في حال تم إظهار شركة المحاصة بأي عمل من الأعمال التي تقوم بها الشركة وذلك بعمل إرادي من الشركاء كالتوقيع باسم الشركة فإنها تفقد صفتها كشركة محاصة لتصبح مبدئياً شركة تضامن ويعود للقضاء تحديد أي نوع من الشركات هي إن لم تكن شركة تضامن وذلك بالنظر إلى عقدها وطريقة إدارتها ومسؤولية الشركاء فيها.

وقد حددت المواد / 51-52-53-54 / النصوص القانونية الناظمة لعمل شركات المحاصة

1/ شركة تعقد بين شخصين أو أكثر ليست معدة لاطلاع الغير عليها وينحصر كيانها بين المتعاقدين ويمارس أعمالها شريك ظاهر يتعامل مع الغير.

2/ ليس لشركة المحاصة شخصية اعتبارية ولا تخضع لمعاملات الشهر المفروضة على الشركات الأخرى.

المادة/52/ عقد شركة المحاصة..

يحدد عقد شركة المحاصة الحقوق والالتزامات المتبادلة بين الشركاء ومدتها وكيفية تسديد رأس المال وتقاسم الأرباح والخسائر فيما بينهم مع الاحتفاظ بتطبيق المبادئ العامة بعقد الشركة.

المادة/53/ إثبات شركة المحاصة..

يثبت عقد شركة المحاصة بجميع طرق الإثبات المقبولة في المواد التجارية إذا كان موضوعها تجاريا وبطرق الإثبات المحددة في المواد المدنية إذا كان موضوعها مدنيا.

المادة/54/ علاقة الغير بالشركة..

1/ لا يكون للغير رابطة قانونية إلا مع الشريك الذي تعاقد معه.

2/ يجوز أن تعامل شركة المحاصة التي تظهر تجاه الغير بهذه الصفة كشركة فعلية ويصبح الشركاء فيها مسؤولين تجاه ذلك الغير بالتضامن. " والمقصود أنه إذا قام أحد الشركاء بتصرف اتجاه الغير باسم الشركة فإن القانون يعاملها كشركة تضامن ".

عبد الوهاب المسيري
العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة

■ ياسر مرزوق

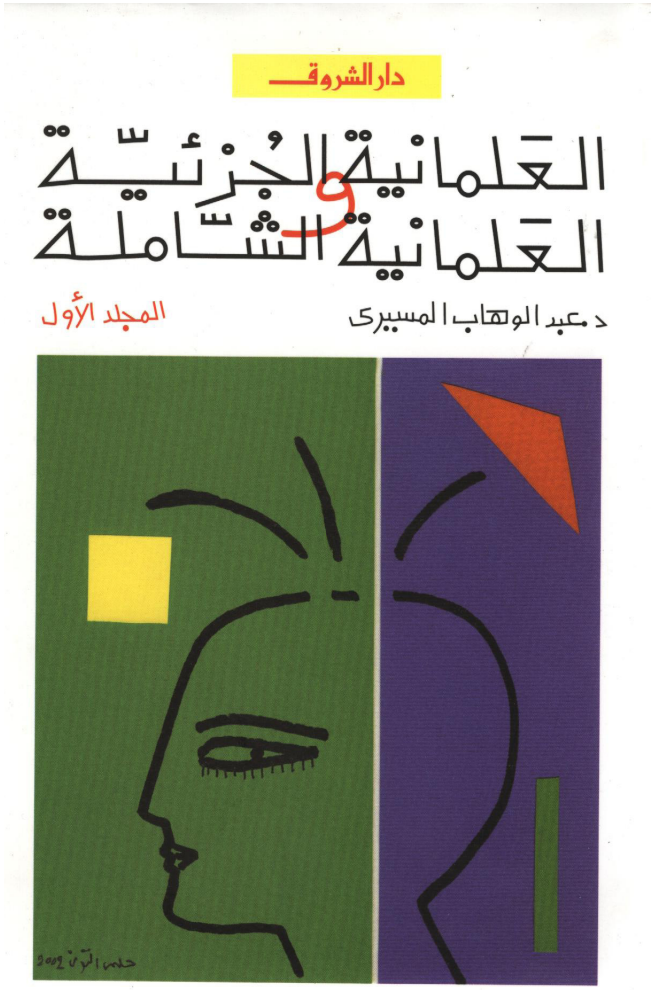

كاتبنا اليوم ظاهرة في المشهد الثقافي العربي الحديث، عام 2008 كانت دمشق تحتفل بالثقافة العربية بوصفها عاصمةً لها وتزامن الحدث مع رحيل المفكر العربي الكبير "عبد الوهاب المسيري" الذي كان صدى رحيله في الشارع السوري أصدق رد على كل القائلين بانحسار دور المثقف وتأثيره على الشارع، قامت إحدى دور النشر المعروفة بعرض أعمال المسيري بنصف القيمة المادية، وفاءً للكاتب كما عقدت عشرات الندوات والمحاضرات حول المسيري ونهجه الفكري.

في قراءتنا اليوم نطل على عالم "عبد الوهاب المسيري" من خلال كتابه المميز "العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة" وهو الذي قدّم سيرته الفكرية في كتاب بعنوان رحلتي الفكرية- في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية 2001 ليعطي القارئ صورة مفصلة عن كيف ولدت أفكاره وتكونت والمنهج التفسيري الذي يستخدمه، خاصة مفهوم النموذج المعرفي التفسيري. وفي نهاية "الرحلة" يعطي عرضًا لأهم أفكاره يذكر الدكتور المسيري في هذه "الرحلة" بداية اهتمامه بالموضوع اليهودي والصهيوني، فكان أول كتبه هو نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني 1972، وصدر بعدها موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية 1975، كما صدر له عام 1981 كتاب من جزأين بعنوان الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة 1981. وفي هذه الفترة صدرت له عدة دراسات باللغة الإنجليزية من أهمها كتاب أرض الوعد: نقد الصهيونية السياسية 1977 وقد قرر الدكتور المسيري أن يُحدّث موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية وتصور أن عملية التحديث قد تستغرق عامًا أو عامين، ولكنه اكتشف أن رؤيته في هذه الموسوعة كانت تفكيكية، وأن المطلوب رؤية تأسيسية تطرح بديلاً. فكانت الثمرة أنه بعد حوالي ربع قرن نشر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد 1999. وقد صدر له أثناء ذلك الوقت وبعده عدة كتب في نفس الموضوع من أهمها البروتوكولات واليهودية والصهيونية 2003في الخطاب والمصطلح الصهيوني 2003-2005من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية وأزمة الدولة اليهودية 2008.

واهتمامات الدكتور المسيري الفكرية تتجاوز الموضوع الصهيوني، بل إنه يعتبر موسوعته مجرد دراسة حالة، في إطار مشروعه النظري.

فقد صدر له كتاب من جزأين بعنوان إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد 1993، والعالم من منظور غربي 2001، والفلسفة المادية وتفكيك الإنسان2002، والحداثة وما بعد الحداثة 2003، والعلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة 2002، ورؤية معرفية في الحداثة الغربية 2006.

ربما كان المسيري الرائد في الفعل الثقافي ضد الصهيونية فلم يقف موقف المدافع بل هاجم الصهيونية في عقر دارها وهو القائل: "إن حرب التحرير الفلسطينية تنبع من أنبل الدوافع الإنسانية، إقامة العدل في الأرض وتحرير الوطن من المغتصب والقضاء على الاحتلال. فمصدرها هو الأمل والمقدرة على التضحية بالذات، وليس اليأس والرغبة في تفجيرها. إنها تعبير عن امتلاء إنساني وأخلاقي حقيقي، ولولا هذا لما كُتب لها الاستمرار. إن كفاح الشعب الفلسطيني نجمٌ ساطع في زمن الكذابين والمزيفين والوثنيين و"الواقعيين" الانهزاميين، وهو نجم بدّد كثيراً من الظلمة والأكاذيب. وقد أثبت الفلسطينيون مقدرةً فائقةً على الصمود والمثابرة والإبداع والكفاح، من أجل شرف أمتنا وكرامتها ومصالحها وأمنها، ونرجو ألا يُكتَب عنا أننا تركنا هذه اللحظة التاريخية النادرة تفلت من أيدينا ".

في كتابنا اليوم يحاول المسيري تناول قضية العلمانية "في جانبيها النظري والتطبيقي" من منظور جديد، يقوم على التفرقة بين ما يُسمى "العلمانية الجُزئية" - فصل الدين عن الدولة -، و"العلمانية الشاملة" وهي لا تعني فصل الدين عن الدولة فحسب وإنما عن الطبيعة وعن حياة الإنسان في جانبيها العام والخاص، أو بعبارة أخرى: فَصْل القِيم الإنسانية والأخلاقية والدينية عن الحياة في جانبيها العامّ والخاصّ، بحيث تنتزع القداسة عن العالم، ويحول إلى مادة استعمالية يمكن توظيفها لصالح الأقوى.

أتى كتاب المسيري من جزأين، حافلاً بالمعلومات والرؤى، حيث يبدأ بتناول إشكالية تعريف العلمانية، والأسباب التي ساهمت في تقلص الحقل الدلالي لكلمة "علمانية"، وأضعفت قيمتها التفسيرية، كما يميز بين نوعين من العلمانية، العلمانية الجزئية: هي رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية والمعرفية، ومن ثم لا تتسم بالشمول، وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة، وربما الاقتصاد وهو ما يُعبر عنه بعبارة "فصل الدين عن الدولة"، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت حيال المجالات الأخرى من الحياة، ولا تنكر وجود مطلقات أو كليات أخلاقية أو وجود ميتافيزيقا وما ورائيات، ويمكن تسميتها "العلمانية الأخلاقية" أو "العلمانية الإنسانية".

- العلمانية الشاملة: رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صرامة تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة والغيبيات بكل مجالات الحياة، ويتفرع عن هذه الرؤية نظريات ترتكز على البعد المادي للكون وأن المعرفة المادية المصدر الوحيد للأخلاق وأن الإنسان يغلب عليه الطابع المادي لا الروحي، ويطلق عليها أيضاً "العلمانية الطبيعية المادية" نسبةً للمادة و الطبيعة.

ويعتبر الفرق بين ما يطلق عليه "العلمانية الجزئية" وما يسمى "العلمانية الشاملة" هو الفرق بين مراحل تاريخية لنفس الرؤية، حيث اتسمت العلمانية بمحدوديتها وانحصارها في المجالين الاقتصادي والسياسي حين كانت هناك بقايا قيم مسيحية إنسانية، ومع التغلغل الشديد للدولة ومؤسساتها في الحياة اليومية للفرد انفردت الدولة العلمانية بتشكيل رؤية شاملة لحياة الإنسان بعيدة عن الغيبيات.

كما يتناول إشكالية اختلاط الحقل الدلالي لمصطلح ومفهوم "العلمانية"، وذلك من خلال عَرضه وتحليله للتعريفات الموجودة بالفعل في المُعْجَمَيْن العربي والغربي لكل من مُصطلح ومفهوم "العلمانية"، وقد عرض في ثنايا ذلك لآراء العلمانيين العرب حول تعريف المصطلح والمفهوم، وهي تعريفات تتأرجح بين العلمانية الجزئية بوصفها إجراءً جُزئيا لا علاقة له بالأمور النهائية، مقابل العلمانية الشاملة بوصفها رُؤية شَاملة للكون أي التأرجح بين عِلْمَانِيَّة تقبل المُطْلَق الديني أو الأخلاقي أو الإنساني، وأخرى نَسبية تمامًا لا تقبل أي مطلقات أو ماهيات.

كما يناقش فكر الاستنارة، حيث ابتدع العقل الغَربي صُورة الاستنارة المجازية في القرن الثامن عشر، حينما كان العلم الحديث لا يزال غضًا وليداً، فقد ساد الوهم لدى العلماء بأن العلم سينير المجهول المظلم ليصبح معلوماً

منيراً، وأن هذه العملية تدريجية، بمعنى أنّ رقعة المعلوم ستتزايد على مَرّ الأيام، ورُقعة المجهول ستنكمش إلى أن تصل إلى نقطة تختفي فيها الأسرار، وتتحكم في الواقع و قوانينه، وتصلح البيئة بل ربما النفس البشرية ذاتها.. وبعد أربعة قرون من الاستنارة اكتشف الإنسان الغربي أن الأمور ليست بهذه البساطة.. فإنّ ثمرة قَرُون طويلة من الاستنارة كانت إلى حَدّ ما مظلمة، ولذا راجع الإنسان الغربي كثيرا من أطروحاته بخصوص الاستنارة بعد أن أدرك بعض جوانبها المظلمة، وتناقضاتها الكامنة وخطورتها على الإنسان والكون. ومع هذا يقوم الفكر العلماني الغربي بنقل أطروحات الاستنارة من الغرب بكفاءة غير عادية دون أن يحور أو يعدل أو ينتقد أو يراجع.

ويحاول الكشف عن بعض جوانب فكر حركة الاستنارة الغربية وتناقضاته باعتباره الإطار المرجعي النهائي للعلمانية الشاملة، قدم لها ببيان مفهوم مصطلح الاستنارة في الخطاب الفلسفي العربي، أكد فيه أنّ تعريفات الاستنارة في الأدبيات العَربية تعريفات عامة للغاية تدور حول حق الاجتهاد وحرية العقل بحيث لا يمكن للإنسان أن يختلف معها، فمن ذا الذي يرفض حق الاجتهاد والاختلاف وتحكيم العقل في جميع القضايا ؟!.. فالمشكلة -فيما يرى المؤلف - لا تكمن في استخدام العقل أو عدم استخدامه، وإنما في نوع العقل الذي يستخدم (عقل مادي أداتي أم عقل قادر على تجاوز المادة ؟ وفي الإطار الكلي الذي يتحرك فيه هذا العقل، والمرجعية النهائية التي تصدر عنه).

ويذهب المؤلف إلى أن فكر الاستنارة هو الأساس الفلسفي الذي تنطلق منه العلمانية الشاملة، وأن هذا الفكر كان يتحدث عن متتالية العلمانية والتحديث المثالية، ويبشر بثمراتها، وأن ما تشكل في الواقع كان مغايرا إلى حد كبير عما تحدثت عنه البشرى.

ثم عرض المؤلف لنظرة فكر الاستنارة الغربية للمحاور الثلاثة التي تقوم عليها أية منظومة فلسفية وهي الإنسان والطبيعة والإله، وفي حالة الاستنارة يحل العقل محل الإنسان في هذا الثالوث.

كما تناول موقف فكر حركة الاستنارة من نظرية المعرفة، والإشكالية الرئيسة التي تطرحها المرجعية المادية الكامنة، وهي إشكالية علاقة العقل الإنساني بالطبيعة / المادة وأيهما هو موضع الكمون. حيث تتبدى الإشكالية في الصراع بين النموذج الواحدي المادي المتمركز حول الذات، والذي يفترض أسبقية الإنسان على الطبيعة / المادة، وبين النموذج الواحدي المادي الطبيعة/ المادة، والذي يفترض أسبقيتها على الإنسان.

وفي إطار هذا الصراع تناول المؤلف النظرية الأخلاقية، فامتدادا لهذه الأطروحة المادية ظهرت الفلسفة النفعية للتعبير عن هذه النزعة الطبيعية الحسية المادية، وقد أعطت هذه الفلسفة للإحساسات الفيزيائية الأسبقية على المفاهيم الأخلاقية، بل والمفاهيم العقلية والإنسانية، فالأخلاق لا علاقة لها بالفضيلة أو الاحتياجات الروحية، وإنما لها علاقة بالسعادة "اللذة والمنفعة "وبالتالي عرف الخير والشر تعريفا ماديا كميا، فالخير هو ما يدخل السعادة "اللذة "على أكبر عدد ممكن من البشر، وما يحقق لهم المنفعة، والشر هو عكس ذلك " أي ما يسبب الألم والضرر" والعواطف الإنسانية إن هي إلا تعبير عن حركة المادة، وليس هناك أسئلة أخلاقية كبرى أو نهائية فكل الأمور مادية نسبية متغيرة.

كما ناقش المسيري حركة التمركز حول الأنثى باعتبارها أحد تجليات المتتالية العلمانية في مرحلتها الصلبة، ووضح السياق الفكري والاجتماعي لحركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها وحركة الفيمينزم (النَّسَوِيَّة)، حيث كانت الأولى تنطلق من الإيمان بتميز الإنسان مطالبة بالمساواة بين البشر، والمرأة في تصور هذه الحركة كائن اجتماعي يضطلع بوظيفة اجتماعية، ولذا فهي حركة تهدف إلى تحقيق قدر من العدالة الحقيقية داخل المجتمع (لا تحقيق عدالة مستحيلة خارجة)، وعادة ما تطالب حركات تحرير المرأة بأن تحصل المرأة على حقوقها كاملة سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية، أما حركات التحرر الجديدة (التمركز حول الأنثى) فجاءت تأكيدا على فكرة الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتصدر عن رؤية واحدية إمبريالية، وثنائية لا تتقبل الآخر، وكأنه لا توجد مرجعية مشتركة بينهما، فالمرأة متمركزة حول ذاتها، تود اكتشاف ذاتها وتحقيقها خارج أي إطار اجتماعي، وفي حالة صراع كوني أزلي مع الرجل المتمركز حول ذاته. كما يرى المسيري أن ثمة تشابها واضحا تعرض لإبرازه بين حركة التمركز حول الأنثى والنظام العالمي الجديد و الإمبريالية النفسية من جهة، وبين الصهيونية من جهة أخرى.

أختم بمقطع من مقالة للمسيري عن العلمانية الجزئية والشاملة كتبه بعد ستة أعوام تقريباً من ظهور كتابنا اليوم: " ن بعض المنتجات الحضارية التي قد تبدو بريئة تماماً و مجرد تسلية مؤقتة تؤثر في وجداننا وتُعيد صياغة رؤيتنا لأنفسنا وللعالم. إذ إن أولئك الذين يرتدون التِّيشيرت، ويشاهدون الأفلام الأمريكية "إباحية كانت أم غير إباحية"، ويسمعون أخبار وفضائح النجوم ويتلقفونها، ويشاهدون كما هائلاً من الإعلانات التي تغويهم بمزيد من الاستهلاك، ويهرعون بسياراتهم من عملهم لمحلات الطعام الجاهز وأماكن الشراء الشاسعة يجدون أنفسهم يسلكون سلوكاً ذا توجُّه علماني شامل ويستبطنون عن غير وعي مجموعة من الأحلام والأوهام والرغبات هي في جوهرها علمانية شاملة دون أية دعاية صريحة أو واضحة. وربما كان بعضهم لا يزال يقيم الصلاة في مواقيتها ويؤدي الزكاة. ونظراً لعدم إدراك البعض لأشكال العلمنة البنيوية الكامنة هذه، فإنه لا يرصدها. ولذا، يُخفق هذا البعض في تحديد مستويات العلمنة الحقيقية. وعلى هذا، فقد يُصنَّف بلد باعتباره إسلامياً (مثلاً) لأن دستور هذا البلد هو الشريعة الإسلامية مع أن معدلات العلمنة فيه قد تكون أعلى من بلد دستوره ليس بالضرورة إسلامياً ولكن معظم سكانه لا يزالون بمنأى عن آليات العلمنة البنيوية الكامنة التي أشرنا إليها "

دمشق.. وأصحاب القبعات الزرق

■ رزان زيتونة

تبدو دمشق اليوم وكأنها في حالة فصام، ففي شوارعها وساحاتها الرئيسية وبين الأبنية والشرفات علقت حبال تتدلى منها لافتات برتقالية وصفراء وبيضاء بعبارات كاريكاتيرية تتحدث عن «الغد المشرق» و«المشاركة» و«البناء».. وتشوهت جدرانها بصور مرشحي النظام لمجلسه القادم يطلون ببراءة من لم يعلم ولن يعلم لأنه غير قادر على التعلّم أصلاً. بضع مئات من الصور ترغب في منافسة آلاف الوجوه التي انطبعت في الذاكرة لأشخاص فقدناهم خلال سنة مضت قنصا وقصفا. خيم «انتخابية» نصبت في عدد من الطرقات لتنافس آلاف الجنازات التي تتحول في كل مرة لجنازات جديدة بشهداء جدد.

تكاد دمشق تنحني قهرا لإثقالها بكل هذا العار الذي يرغب في الادعاء أن شيئا لم يكن، وأن العاصمة لا تزال تحمل أوتاد النظام مغروزة في قلبها وقلوبنا، وأن خطة أنان لا يعيبها أن النظام يتصرف كما لو أنه باق للأبد، ويستبيح دمشق حصنه الأخير، ويهزأ بنا جميعا كلما صادفت نظرنا عبارة «مرشحكم عن الفئة...».

لكن، في دمشق أيضا، قام النشطاء برفع صور مرشحيهم من الفئة «شين»، صور شهداء الحرية، إلى جانب وفوق صور مرشحي مجلس القتل في جميع الأحياء والمناطق. وفي دمشق أيضا، اعتقل العشرات خلال الأيام القليلة الماضية في حراك هو الأجمل لشباب وصبايا حملة «أوقفوا القتل». من اعتصامات صامتة أمام القصر العدلي وساحة المرجة والبرلمان وغيرها إلى اللافتات الحمراء في الزاهرة. و«الرجل البخاخ» زاد عدد كلماته وعباراته على الجدران. جميل كشاعر، شجاع كفارس، يتنقل بريشته ليكتب دمشق حرفا حرفا بمفردات الحرية.

قطع الشبان الطرقات ليلا بالإطارات المشتعلة وأضاءوا سماء دمشق بأمل خلاصها، واستشهد الشاب عدي جنبلاط عندما أرعبت تلك الأنوار قوات وأمن النظام ففتحت نيرانها على من أناروها.

استشهد خلال الأيام القليلة الأولى من شهر مايو (أيار) أكثر من 20 شخصا في مناطق مختلفة من دمشق. انتفضت خلال هذه الأيام كفرسوسة وثارت التضامن ودف الشوك وقصفت بساتين برزة بالأسلحة الثقيلة ونزل الآلاف إلى الشوارع في تلك الأحياء متظاهرين ثم مشيعين، وفي كل مرة هاتفين بإسقاط النظام ومتجهين خطوة أخرى نحو كلمة دمشق التي لم تقل كاملة بعد.

حجم العنف الممارس خلال الأيام الماضية تجاه المناطق المنتفضة في دمشق يوحي برعب النظام من يقظة العاصمة وحراكها. والسادة المراقبون، بأعدادهم المثيرة للأسف، يفضلون التوجه إلى المناطق «الساخنة»، لعمل جولات مراقبة تهدأ خلالها عمليات القصف والقنص – وفي أحيان لا تهدأ – لتعاود عملها فور مغادرتهم إلى منطقة جديدة.

يقول أرباب السياسة من داعمي خطة أنان: إن وجود المراقبين من شأنه أن يمنح الفرصة للحراك السلمي كي يكبر، خاصة في العاصمتين السياسية والاقتصادية، وإن كان الأمر كذلك، فليس هنالك من مبرر للانتظار حتى تصبح دمشق «منطقة ساخنة»، ويسقط فيها مئات الشهداء الجدد وتستخدم الأسلحة الثقيلة ضد أحيائها وتستحضر ردود فعل واشتباكات، ثم نأتي بالمراقبين كي يفيدونا بعدد خروقات كل طرف لمبادرة أنان في اليوم الواحد.

دمشق على مرجل، وحراكها لا يزال الأكثر سلمية وتنوعا في المشاركة من مختلف الفئات والطوائف والأعمار في سوريا كلها. وهو إذ يزحف كل يوم نحو المركز فإن ما يواجهه من عنف يؤخره الآن وقد يحرفه عن مسيره غدا.

أفضل ما يمكن أن يفعله أصحاب القبعات الزرق هو التواجد هناك في قلب دمشق، بدل الانتظار أن تصبح منطقة «ساخنة» بمفهوم المراقبين، ربما يعجل ذلك بإنهاء حالة الفصام التي تعيشها العاصمة، بين قلبها المنهك بصور المرشحين وخيمهم الانتخابية وأطرافها المشتعلة شوقا للحرية.

سلامة كيلة:
الثورة ستنتصر والأسد سيسقط

■ حاوره في عمان- محمد النجار

قال المفكر اليساري العربي سلامة كيلة (57 سنة) إن النظام بشار الأسد سيسقط وإن الثورة الشعبية عليه ستنتصر، واصفا نظام الأسد بأنه "أكبر مافيا في المنطقة".

وروى كيلة - وهو فلسطيني الأصل، في حوار مع الجزيرة نت - تفاصيل اعتقاله وتعرضه لتعذيب وصفه بالوحشي من قبل المخابرات الجوية السورية التي اتهمها بارتكاب جرائم ضد الإنسانية.

وقال إنه اعتقل لاتهامه بأنه مسؤول عن نشرة يسارية صدر منها ثلاثة أعداد وضعت في عددها الثاني شعار "من أجل تحرير فلسطين.. نريد إسقاط النظام".

| نريد أن نعرف ما الذي حدث معك في الاعتقال الأخير والذي انتهى بإبعادك للأردن؟

| | فوجئت مساء يوم 2012/4/23 بدورية من المخابرات الجوية حضرت إلى منزلي ودخلت بشكل طبيعي ولم تتعامل بوحشية كشأن الاعتقالات السابقة، وبدأ عناصرها في تفتيش البيت وصادروا ثلاثة أجهزة حاسوب تعود لي ولزوجتي، وهواتف وفلاشات تخزين وطابعة وسكانر، والعديد من الأوراق التي لم أعرف محتواها.

طلب مني عناصر الدورية التوجه معهم لمدة يوم، وقلت لهم - وأنا أضحك - إن هذا الكلام غير صحيح، فقد اعتقلت ثماني سنوات في السجن بعد استدعائي للتحقيق لمدة نصف ساعة.

نقلت إلى مكان عرفت فيما بعد أنه آمرية الطيران في ساحة الأمويين، وأن هناك فرع أمن تحتها افتتح من وقت قريب، ونقلت للسجن في غرفة مكتظة بالشبان.

اكتشفت بعد لحظات من الاعتقال أنني في سوريا كلها من إدلب إلى حلب إلى حوران، بسبب تنوع السجناء وانتمائهم إلى شتى مناطق سوريا، فبعضهم عسكريون متهمون بالانشقاق، وهناك متهمون بالتفكير في الانشقاق، ومن بينهم أربعة ضباط وعدد من العناصر من حلب، ومن بينهم كادر في حزب البعث، وكانوا قد تلقوا تعذيبا شديدا في فرع المخابرات الجوية بالمزة، ولم ينته التعذيب إلا بعد أن وقعوا على اعترافات يلقنها لهم ضباط بأنهم سرقوا ونهبوا وقتلوا.

استمعت إلى روايات تعذيب مرعبة، والهدف منه تأكيد النظام روايته المسبقة بأن هناك عصابات مسلحة تقتل وتغتصب وتنهب، وعندما تصبح كل الاعترافات نفس النص فهذا يعني أن هناك ملقنا.

غرفة الاعتقال تتسع لعشرين، كنا فيها 36، ولا يوجد فيها أي فرشة، البعض وجد مكانا للنوم والبعض الآخر فضل الجلوس لعدم وجود مكان.

في الصباح نقلت للتحقيق الذي بدأ باتهامي بأنني طبعت نشرة يصدرها "الائتلاف اليساري السوري" صدر منها ثلاثة أعداد، وهو من التجمعات الجديدة التي تشكلت أخيرا، وفي النشرة شعار "من أجل تحرير فلسطين.. نريد إسقاط النظام"، وهو الشعار الذي ضربت عليه طويلا حتى من العناصر، ووجدت أنهم مرعوبون منه.

وكان الضابط يريد مني الاعتراف بأنني من يصدر النشرة، نفيت ذلك وأخبرته أن هناك من تواصل معي عبر الإنترنت عن النشرة، وطلبت إيصالها لي وهو ما حدث، وأنني لست مسؤولا عنها.

قابل الضابط أجوبتي بشتائم قاسية، ووصفني بالكلب والحقير، وضربني ضربا مبرحا بكيبل عريض ظهرت آثاره على جسدي بوضوح، وتعرضت لنفس الشيء عدة مرات على مدار يومين دون أن أغير روايتي، وخلال ذلك كان المحققون يشتمون الشعب الفلسطيني بأنهم باعوا وطنهم وخانوا سوريا التي قدمت لهم الكثير.

آثار التعذيب على جسم سلامة كيلة

| هل كان التعذيب في هذا المكان فقط؟

| | نعم بقيت على هذا الحال حتى يوم الخميس 2012/5/3 حيث نقلت لمكان آخر وأنا مغمض العينين، وعرفت فيما بعد أنه مطار المزة وفيه المقر المركزي للمخابرات الجوية، وعندما شاهدني المسؤول وشاهد آثار التعذيب فوجئ وطلب مني أن أذهب للاستحمام.

عندما خرجت وجدت طبيبا ينتظرني لفحصي، وعرفت أن هذا الفعل حدث عندما ثارت ضجة على أنني قد أموت، الطبيب فحصني وذهل مما شاهد من تعذيب، ونقلت إلى بناية أخرى وأنا مغمض العينين، وقابلت ضابطا كبيرا لا أعرف من هو، وتوسع التحقيق معي حول النشرة وغيرها من الأمور.

ثم جاء طبيب واضح أنه أعلى من الأول وقام بكتابة تقرير عن الوضع معي بالتفصيل، وكان يصف آثار التعذيب، وكان الدكتور يشك في أنني أعاني من اليرقان، ثم قرروا أخذي للمستشفى وعرفت فيما بعد أنه مستشفى بالمزة، وأجريت لي صور شعاعية وفحوص دم وغيرها، وقال إن فحص اليرقان غير ممكن إلا صباحا، واقترح بقائي في المستشفى حتى يوم السبت، وهنا كانت الكارثة.

| كيف؟

| | اكتشفت أنني دخلت في جحيم حقيقي أسوأ من كل ما مررت به، الغرفة فيها أمن للمخابرات الجوية، وفيها ستة أسرّة عليها 11 مريضا مقيدين بالسلاسل، حيث وضعت في زاوية وربطوا رجلي ويدي بالجنازير، وكان هناك غطاء على عيوني.

المشكلة بدأت عندما أردت الذهاب إلى الحمام للتبول فسمح لي أول مرة، وفي المرة الثانية رفض وطلب مني التبول في كيس قذر، ولأنني كنت أخذت جليكوز قصرت بحاجة للتبول كثيرا، فرفض بعد ذلك أن أذهب للتبول، وطلب مني التبول على نفسي وهو ما حدث للأسف، وتكرر الأمر في كل مرة بعد ذلك، كنت أبول على نفسي لأيام، لذا قمت بتقليل حجم الماء والطعام الذي أتناوله.

وكانت التعليمات على ما يبدو ألا يتم ضربي، فلم أضرب إلا قليلا قياسا بالآخرين الذين كانوا يتعرضون لضرب يومي بلا رحمة، وخلال أسبوع من إقامتي في هذه الغرفة مات اثنان ممن كانوا معنا.

من أجل تحرير فلسطين نريد اسقاط النظام

سلامة كيلة

كان معنا مريض نفسي في الغرفة اسمه لؤي يوسف الخطيب، كان يتكلم مع نفسه من شدة التعذيب الذي تعرض له، وكان يتلقى الضرب والتعذيب لأنه يصرخ، وهذا تكرر مع الجميع في الغرفة القذرة التي كنا فيها.

بقيت على هذا الوضع حتى يوم الثلاثاء 2012/5/8 حيث أجريت لي فحوص، وعندما عدت للسرير جرى ضربي عدة مرات.

يوم الخميس 2012/5/10 جاءت دورية وأخذتني وفوجئت بأنني في قسم الهجرة والجوازات في المزة وسلموني هناك، وكان الضابط مستعجلا ويقول إن وزير الداخلية يتابع ترحيلي، واستعجل نقلي للقصر العدلي حتى يوقع النائب العام على قرار ترحيلي، حيث نقلت في حافلة، وعندما وصلت للقصر العدلي نزل الضابط وعاد بتوقيع النائب العام، ثم نقلت لمنطقة باب المصلى التي يوجد فيها مكان لاحتجاز المبعدين.

| يعني لم تعلم بقرار ترحيلك من قبل؟

| | لا طبعا فوجئت بالأمر، وعندما وصلت لمكان الاحتجاز وجدت شبانا عربا من كل الجنسيات، غالبيتهم من الفلسطينيين ينتظرون دولا لتستقبلهم، وهناك تمكنت من الاستحمام وتم الاتصال بزوجتي لتشتري تذكرة لي، وقبل أن تحضر أخبرت بأنني مطلوب للجنائية ليتبين أنني مطلوب للأمن السياسي.

| أعادوك للأمن السياسي؟

| | نعم تمت إعادتي للأمن السياسي، واكتشفت أن أساس اعتقالي يعود لطلب منهم، وهناك وجدت شبانا من كل سوريا أيضا، واحتجزت في غرفة وكانت ظروف الاعتقال أفضل، وفي التحقيق وجدت أن سبب الطلب هو نقاش عبر فيسبوك مع شاب حول الهيئة العامة للثورة السورية التي لي رأي سلبي فيها أصلا.

عدت للهجرة والجوازات، وحضرت زوجتي واشترت لي تذكرة بمعية محامية، وتم ترتيب أمور ترحيلي للأردن، وفي صباح يوم 2012/5/14 دخلت الطائرة ووصلت لعمان.

قلت إنك شاهدت سوريا كلها داخل السجن من ناحية، كما قلت إنك أصبحت تدرك دور الأجهزة الأمنية في قمع الثورة قبل وبعد دخولك السجن، حدثنا عن ذلك.

من التقيته من الشباب في السجن بسيط وطيب جدا، لا توجد لديه ثقافة سياسية، لكنه يعرف أن الأفق مسدود ويجب أن يتكسر، وأن الصراع مع هذه السلطة لا بد منه، وأن المسألة لا طائفية ولا غيرها، هؤلاء شباب من جيل التسعينيات الذي أعتقد أنه سيغير الشرق الأوسط خلال عشر سنوات.

التعذيب الذي تعرض له هؤلاء الشبان وخاصة في المزة كان مرعبا لدرجة لا توصف، لكنه زادهم إصرارا على السير للأمام، ولم يؤد لخوفهم أو دفعهم نحو التراجع، وهذا ما أذهلني حقيقة.

وما لفت نظري أيضا هو أن هذا الشباب من كل سوريا وعيه واندفاعه وطموحاته متشابهة، ولديه إصرار موحد على تغيير النظام.

| ماذا بالنسبة للأجهزة الأمنية السورية، من الذي يمسك بالأمور أكثر من غيره اليوم برأيك؟

| | واضح أنه بعد تصاعد الأزمة في سوريا وشعور النظام بالضعف، ارتد النظام إلى بنيته الأكثر صلابة وهي المخابرات الجوية، بعد أن اعتمد على أمن الدولة في بداية الثورة، والتي تحول دورها اليوم إلى الفوتوشوب وتركيب الصور وتلفيق وتزوير الفيديوهات

جهاز المخابرات الجوية أبشع جهاز يعمل في سوريا اليوم، وممارساته تصل حد الجرائم ضد الإنسانية، وداخل هذا الجهاز فرع المهمات، وهذا أسوأ فرع فيه، وهؤلاء لديهم صلاحيات القتل والاعتقال والتعذيب بلا حساب.

وأصبح واضحا أن المخابرات الجوية والفرقة الرابعة هما اللذان يعتمد عليهما النظام بشكل أساس، وهذا يدل على ضعف ولا يدل على قوة لأن النظام ارتد إلى الدائرة الأكثر ضيقا.

| اعتقلت على شعار "من أجل تحرير فلسطين.. نريد إسقاط النظام السوري"، هل تؤمن به وهل يؤمن به الفلسطينيون في سوريا؟

| | أغلبية الشباب الفلسطيني مع الشارع السوري، والشباب السوري يؤمن بهذا الشعار لأن النظام يتاجر بالقضية الفلسطينية، وهو لا يجرؤ على الاقتراب من الجولان ولا يحضّر لأي حرب، والنظام تحول إلى عائق في المواجهة مع إسرائيل.

| ولكن هناك أطراف فلسطينية لا تزال تراهن على النظام، بل وانحازت له ضد الثورة.

| | هذا صحيح، وهذه تضر الشعب الفلسطيني خاصة جماعة القيادة العامة وياسر قشلق، وفصائل أخرى تسلحت في المخيمات لضبطها، وهؤلاء سيزولون مع النظام لأنهم أدوات عنده.

| وأنت خارج من سوريا للتو، هل ترى أن النظام السوري سيسقط أم إن لديه وقتا للمناورة أو حتى البقاء؟

| | النظام وصل للحلقة الأكثر ضيقا وهي الأخيرة، وبتنا أقرب للتغيير من أي وقت مضى، منذ البداية أنا مؤمن بأن هذه الثورة ستغير النظام، والمشكلة ما زالت أنه لا توجد قوى سياسية تنظم الشارع بشكل صحيح، وهناك شعور يتنامى داخل الطائفة العلوية نفسها بأن النظام زائل لا محالة، وأن ما يجري من تدمير وانهيار سيعود على الجميع، وهؤلاء يعتبرون أن الثورة هي ضد عائلات الأسد ومخلوف وشاليش وغيرها وليست ضد العلويين.

| هناك تخويفات من الحرب الطائفية في سوريا، هل ترى لها أي أفق؟

| | لا يوجد أي أفق لحرب طائفية في سوريا، وكل محاولات النظام خلال السنة الأخيرة لجر البلاد لهذه الحرب فشلت، أنا قابلت شبابا متدينا في السجن لكن لا توجد لديه أي طائفية.

| هل يعيش أهل دمشق بصورة طبيعية.. وأنت القادم منها لتوك؟

| | في الفترة الأخيرة الوضع توتر، وهناك ركود اقتصادي واضح، والوضع الأمني أشبه بالاحتلال، والناس لا تتحرك كثيرا في الليل، وهذا يدل على حالة رعب شديدة لدى النظام، وأعتقد أن الضغط الاجتماعي على الناس سيسرع الحسم، وآخره زيادة أسعار المازوت والغاز.

| أنت مفكر يساري معروف، وهناك جزء غير بسيط من اليسار والقوميين العرب منحازون للنظام السوري ويقفون معه ضد الثورة، ماذا تقول لهم؟

| | أقول لهؤلاء أن يتروا قليلا، وأن يعودوا لعقلهم وأن يفكروا بموضوعية لا بسطحية عالية.

نحن ضد الإمبريالية ويجب أن نكون ضدها، لكن الوضع في سوريا كان تكيفا مع الإمبريالية، الاقتصاد الذي صنعه النظام السوري كان يطلب رضا الأميركان.

القصة في سوريا أن هناك شعبا، سوريا تتعرض لجريمة قتل كبرى يمارسها النظام من القتل إلى الصراعات الطائفية إلى التعذيب.

سيكتشف هؤلاء أنهم دافعوا عن أكبر مافيا في المنطقة، أتمنى عليهم ألا يعتقدوا أن الأمور هي إمبريالية فقط، لأن الإمبريالية تتجسد في تكوينات محلية، والشعب السوري هو الذي ضحى من أجل فلسطين وضد إسرائيل وأميركا، وليس النظام، والشعب يقاتل اليوم من أجل فلسطين وليس فقط من أجل تغيير النظام.

هناك سطحية سياسية لدى أحزاب شكلية ونخب تبلورت في الخمسينيات والستينيات ستسقط مع هذه النظم، واليسار معاد للإمبريالية وللقمع والنهب والاستغلال، روسيا اليوم إمبريالية صاعدة ولم تعد اشتراكية كما يظن أصدقاؤنا، فلماذا نحن مع إمبريالية ضد إمبريالية؟

عن موقع الجزيرة نت

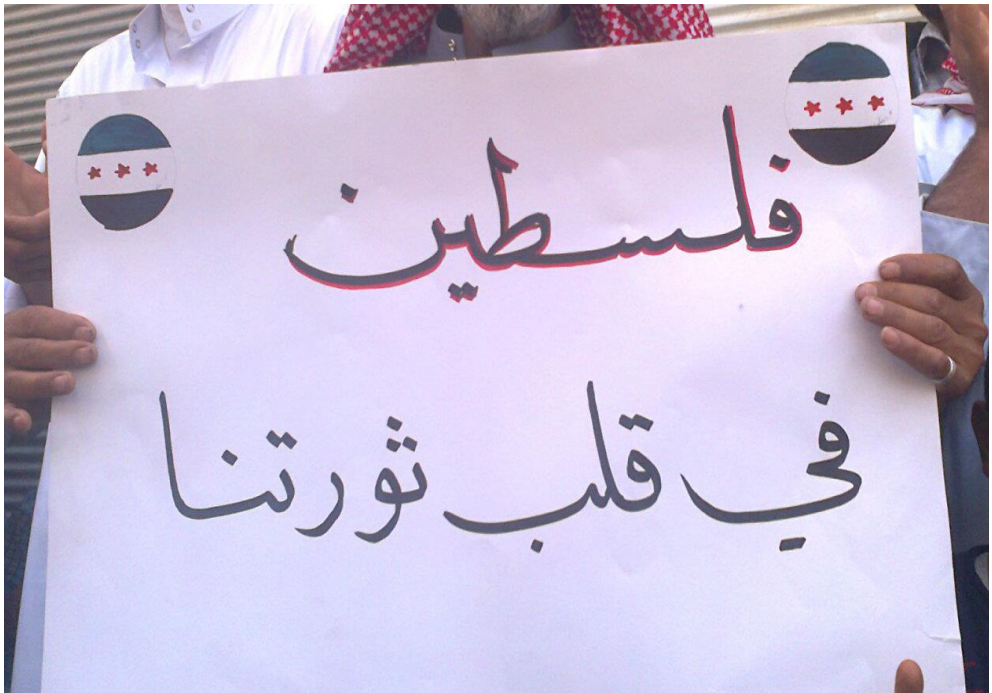

لينا الطيبي

السيد بان كي مون: عطفا على إعلانكم بأن القاعدة قد تكون وراء تفجيرات دمشق.. هناك تساؤلات لا بدّ أن تؤخذ بعين الاعتبار.. ولا بدّ أن نتلقى عليها أي رد.. بما أن التفجيرات لم يستفد منها سوى النظام السوري فهل معنى هذا أن القاعدة متعاونة مع النظام؟! هل تهدف القاعدة من وراء التفجيرات إلى منح الشعب من النزول إلى الساحات للتظاهر من خلال تخويفه وترويعه؟!.. هل تهدف القاعدة من وراء التفجيرات التأكيد لعنان أن هناك عصابات مسلحة في سوريا غير عصابات النظام؟!.. هل تكره القاعدة الشعب السوري إلى الحد الذي يجعلها تريد أن يبدو النظام في صورة الضحية؟! إذا عجز السيد بان كي مون عن الإجابة.. ليت أي أحد على اتصال بأي أحد من القاعدة يحصل لي على إجابة.. فيما لو كانت القاعدة قاعدة أو واقفة؟! هل من يجيبني على أسئلتي..

رشا عمران

وإذا تيمت فالسوريون عائلتي.. وإذا تشردت فالسوريون ملجئي.. وإذا أصبت بحزن عظيم فالسوريون غبطتي....

سعر حاجو

صانعو الأفكار عادةً أقل انتشاراً وشهرة من سارقيها، صانعو الثورة أقل استفادة منها وأقل انتفاعا من سارقيها ومنتفعيها.

بنت يبرود

واللّه جامعة حلب صار لازم يطلعلها "اعتراف" من كل الدول العربية من بعد هالمواقف المشرفة.... لأنو بالواقع غير معترف بشهادتها بأغلب الدول العربية.

راشد عيسى

بديهي أن معدلات القبول الجامعي للعام المقبل ستكون في جامعة حلب.

خالد حاج بكري

السوريون يهرولون في شعاب الصخر والدم والدموع يا سيزيف... صخرتُك... أضحت بصَة يا صاحبي!.

أسامة محمد

نحن من نجري بلا ليزر عملية استئصال رصاصة على ضوء ابتسامه.

ميادة الخليل

لا جدوى من القتل.. ولا من الرصاص.. ولا من الاعتقال.. ولا من الدمار... هذا كله لا يجدي في قتل روح شعب يريد الحرية... لو كان ذلك أجدى عبر التاريخ لما وصلنا إلى هنا... ولكانت البشرية كلها ترسخ في العبودية...

أحمد الشيخ

الطلاب الثائرون في ساحة الجامعة كانوا رائعين بكل معنى الكلمة. ولكن الأروع منهم هو العدد الهائل من سائقي السيارات الخاصة والعامة والذين أوقفوا سياراتهم في وسط الشارع ونزلوا يهتفون بحرقة وحماسة. أكثر ما أدهشني فيها ذلك الرجل الستيني سائق السيارة العمومي الذي أنزل الزبون من السيارة وانضم للشباب والدموع تغطي وجهه. كم كانت (اللّه أكبر) جميلة من فمه.

محي الدين عيسو

أتذكر أول مظاهرة في مدينة القامشلي العام الماضي حينها كنت في مكتب الصديق مازن درويش أفك اللّه أسره! دخلتُ إلى مكتبه مسرعا وأخذته بالأحضان وقلت له القامشلي قامت، قامت القامشلي حينها بدأنا أنا وهو بالرقص والدبكة داخل المكتب ونقول القامشلي قامت... قبلاتي لكل أبناء قامشلو الأحرار ولمازن درويش الأسير في سجون الاستبداد.

جيفارا أتاسي

لم نعد بحاجة أراجيح أو الألعاب.... فلم يعد هناك أطفال على أرضك يا وطن..

عماد غليون

الفرق بين الثوار والمعارضة بسيط جدا": الثوار يريدون إسقاط النظام؛ بينما المعارضة تريد إسقاط السلطة؛ الاختلاف في هذا الهدف الرئيس هو ما يولد كل أشكال الاختلاف بين الثوار والمعارضة ويكاد يحولهما لطرفين متقابلين؟

روشان بيطار

نحن لسنا شريط إخباري، نحن لسنا خبر عاجل! نحن لسنا أرقاما!.. نحن أرواح بشرية تزهق، نحن أحلام تقتل، نحن بشر تداس كرامتهم، نحن أصحاب حق يقمعون! نحن سوريون!

فضيل نوفل

لو كان جمال باشا السفاح يعلم أن المشانق التي نصبها لإعدام الأحرار في سوريا ولبنان ستبقى حبال معلّقة بين الأرض والسماء لآلاف السنين القادمة لتحكي قصة أولئك الأبطال الذين رسموا طريق الحرية بدمهم لما فعل. محمد عبد المولى الحريري أنت أقوى من مشانقهم.

خليل حاج صالح

يا عالم يا ناس يا هوا!.. ممكن يا ناس يا سوريين يا ثوار يا احرار يا مثقفين يا فيسبوكيين يا مغردين يا كلنا!.. ممكن نركز على جرائم النظام وعلى الثورة؟ ممكن تحلوا عن بعض و توقفوا نتف ريش بعض؟ يعني معقول 50٪ من جهودنا خلال شهر مصبوبة بنتف شعور بعض؟.. يا أخي سخروها على النظام و على تطوير و تجذير الثورة و الابداع فيها، أكيد أحسن ما هيك؟

غسان ياسين

حجّي يا حجّي.. إش دأول مابعرف لسيني مربط.. نعني لما الواحد بينوّض من البركون على الشباب الطيبة عم تهتوف و عم تصروخ بشار ولاك ما بأى بدنا ياك.. كني ما عمبتسمع.. طرشان ولاك.

فاروق علي

الثورة لعبة ورد أتقنها السوريون.. والموت لعبة أكفان اعتادوا عليها.. الأسرى مسافرون يعودون والشهداء نجوم علم تحيكه الصبايا ليل نهار.

هالة العبد الله

من جامعة حلب بتمشي سيوي سيوي بتوصل للحرية.

عبد الله أبازيد

في المنفى أصبح لنا وطن..
مجموعة من الأطباء السّوريّين الأحرار في الأردن مستعدين لأنْ يعالجوا كافةَ الحالات الجراحية للمصابين السوريّين مجانا.. " بلا منية الحكومة و المفوضية السامية!"

إسلام أبو شكير

أسوأ ما فعله البعث خلال السنوات التي سرق فيها سوريا أنّه أنتج مجموعاتٍ من البشر لا تمايز بينها..
لغة واحدة، وسلوكٌ واحد، ونمط تفكير واحد، وطريقة واحدة في ردّ الفعل، ومستوى واحد من الاستعداد لتقبّل الأكاذيب، وتبنّيها، والدفاع عنها..
هؤلاء هم من نسمعهم يردّدون الجملة الشهيرة نفسها: (هي هيّ الحرية اللي بدكن ياها!..).
هؤلاء هم الّذين يحمون النظام اليوم..

هيام جميل

يا ظلام السجن كن نورا وسلاما على قلب أسماء ورفيقاتها..

جمال داوود

الحرية يلي بدي ياها.... ينزل قاسيون علشام.. و الجناين و الحارات المعتمة تطلع علضو..
الحرية يلي بدي ياها... يعني نكب النفاق.. و نحكي الصراحة.. ما حدا دخلو بحدا.. و من شاء فليؤمن و من شاء فليعشق.. و يلي بالغروبات و الصفحات السرية يصير علني، و يلي عنعملوا بالسر... نعملو عالطبيعة!!!

إسماعيل الحمد

طرف ثالث تيار ثالث لجنة ثالثة... مو مهم، الشعب السوري صار قادر على قلع شوكه بيده ورح يخلص من الطرف الأول و شريكه الثالث. سيد بان كي مون العب غيرها

إليك أيها الطائفي الأول أوجه غضبي.. خيبتي.. حزني عليك وخذلاني
أهو وجعك أن اضطهادك ما ولد هذه الجهالة !! لا مبرر لديك أهو تاريخك وحزنك ! لا مبرر لديك.. كم كنا ساهين عنك وأنت تمزق أوصالنا وتبيعها تجزئة في أقبية مخازنك العفنة.. هل يجب أن تسفك دماء كي ندرك كم أهنت إنسانيتنا وكم كنا أغبياء !أيها الطائفي الأول.. ويل لجهالتك وملعون أنت وقطيعك المسكين.. يا أيها المسكين أنت.. كم كنا لاهين عنك ومخدوعين.. بدلت محمد وسهى وعلي وجورج.. صاروا لونا واحدا هو لونك.. ألواننا هي.. كيف بدلتها ! متى وأين ؟أيها الطائفي الكامن تحت الرماد.. شكلت انتماءاتك رويداً رويداً.
أتيت من كل صوب وحدب.. نشرت سمومك فينا.. جنوبا وشرقا.. شمالا وغربا..
يا من تاجرت بتاريخنا ملعون أنت.. احتكرت أنبيائنا جملة وبعتهم تجزئة.. تحالفاتك واهية.. وملعونة قبلتك خائفة وملعونة خائف أنت منا.. يا علي.. يا محمد.. يا مريم.. يا حسين.. يا يسوع.. تبرئوا منهم فأنتم الأحياء وهم الضالون.. كم أنت طائفي وكم نحن أحياء..

مي سكاف

قلت لصديقي مازحاً: «سأقترح ترشيحك لرئاسة الجمهورية بعد انتصار الثورة، لأننا سنحتاج رجلا مثلك... فأنت رجل ذكي، نزيه، مهووس بالعمل، لا تحب لبس ربطة العنق، ليس لديك أصدقاء غيري، و أهم شيء فان زوجتك لا تحبك.... ماذا نريد أكثر من ذلك ؟ فأنت ستحول سوريا إلى ورشة عمل لا تنام!».
فأجاب ضاحكاً: « شكراً و لكن لا.. شكراً.... فبعد ما رأيناه من عنفوان الشعب السوري، سيكون على الرئيس المقبل أن يمشي على رؤوس أصابعه إذا تأخر عن العمل، و يقف على الطابور بانتظار استلام راتبه الشهري، و حين سيدخل مجلس الشعب سيكون عليه أن يخلع حذائه !!»

أبو عبدو

| هل انعكست الثورة السورية أدباً وإبداعاً عند المبدعين السوريين؟ ألا تجد الكتاب متأخرين في اللحاق بركب الثورة على مستوى الكتابة؟ أين منها كتابات المثقفين في الأزمات الكبيرة السالفة؟

| | يستحسن عدم التطرق إلى الأدب والإبداع والمبدعين السوريين، حالياً الساحة مفتوحة للكتابات السياسية. أما الكتابة الإبداعية فمقيدة البدين، والأدباء ليسوا أكثر من مراقبين ومتفرجين، كما أن الحالة نفسها لا تساعد على الكتابة. نعم، الحدث متبلور، لكنه لم يأخذ أبعاده في ذهن الكاتب، الأدب يلهث وراءه، مازال في مرحلة اكتشافه من الداخل. لسنا طبعاً بانتظار النهاية السعيدة، وإنما في اكتمال شيء كي نتمكن من ضبطه داخل إطار ما.

مهما حاول الكاتب فهو متأخر عن اللحاق بركب الثورة، عموماً الكتابة الأدبية لا تسبق الثورة، بل تتأخر عنها. هذا بالنظر أيضاً إلى كتابات المثقفين في العالم، ففي قضية درايفوس، التي استهلها أميل زولا ببيانه «إني اتهم» معلناً كمثقف سياسي اتهامه للعنصرية والتمييز. لم تظهر في الأدب إلا بعد مضي زمن في رؤية «البحث عن الزمن الضائع» لمارسيل بروست و«السيد برجيريه في باريس» لأناتول فرانس. كذلك حدث للثورة المصرية عام 1952، برز بعد سنوات في روايات نجيب محفوظ، وتأثيراتها في عشرات المسرحيات لأكثر من جيل؛ كتب للمسرح مثل: يوسف ادريس والفريد فرج ونعمان عاشور ومحمود دياب ولطفي الخولي... ولنتذكر أن الثورة السورية ضد الفرنسيين حظيت بروايات معروفة مثل «لن تسقط المدينة» و«حسن جبل». للكاتب فارس زرزور. وما زالت تتردد أصداؤها في كتابات كثير من الروائيين السوريين حتى الآن.

| هل تجد أن دمشق تأخرت فعلاً عن ركب الثورة؟ لماذا؟

| | نعم تأخرت، ومعها حلب، والأسباب معروفة: التمركز الأمني الشديد، لا ننسى أن معاقل الأجهزة الأمنية الكبرى في هاتين المدينتين، كذلك مؤسسات الدولة وإداراتها. واحتواء العاصمة على أعداد كبيرة من مؤيدي النظام المتنفعين منه، والذين يعتقدون أنهم مهددون في حال زواله، إضافة إلى جمهور الأحزاب المتعاونة، والكثير ممن يشغلون وظائف في الدولة. ما يسهل عملية قمع أي تحرك بسرعة وشدة. لكننا شهدنا مؤخراً مظاهرات جامعة حلب والمدينة الجامعية، وتشييع شهيد المزة في دمشق، وما انطوت عليه الحادثتان من دلالات عن احتقان الأهالي واستعدادهم للانضمام تلقائيا إلى الحراك.

لا أعتقد أن هناك مدينة أو بلدة في سوريا، لا تشارك في الاحتجاج، أو لا تحس بهذا الانهيار المتدرج من السيئ إلى الأسوأ، وإن اختلف من منطقة لأخرى، الجميع تحت الوطأة نفسها، والخوف نفسه، والرعب من حرب أهلية بدأت تلوح نذرها.

لا، ليس هناك من هو بمعزل عما يجري، ولا خارج هذا العذاب، ولا تلك التساؤلات والمخاوف.

| برأيك هل من قيم جديدة أفرزتها هذه الثورة؟ كيف غيرت نظرتنا إلى الأجيال الجديدة؟

| | لو أن أحداً كتب رواية الآن عن مجريات الانتفاضة وبطولات الشبان الصغار، أولاد المدارس والجامعات، ومواقف آبائهم وأمهاتهم، لاعتقد القراء المخضرمون أنهم يقرأون رواية على غرار «الأم» لمكسيم غوركي، أو لعصور الاستشهاد الإسلامية والمسيحية، من حيث التضحية والنبل والتفاني والتعاون والتآزر، وروح التحدي والفداء في سبيل الحرية. ما أظهره الأهالي من تفوق أخلاقي جعلنا نؤمن بأن البشر في أحلك الظروف، عكس ما نعتقد لا تتضاءل إنسانيتهم، بقدر ما تتجلى بأبهى صورها وهم يتقاسمون الخبز والدفء والكهرباء، ويتضامنون في ليالي الضراء ولحظات السراء النادر.

شبان صغار يتعرضون في الشوارع والجامعات للضرب بالعصي والاهانة والرفس بالأرجل، وللوشاية والتعذيب يمارسه عليهم زملاؤهم الطلاب بحقد أعمى، تحت حماية رجال الأمن. هذا يحيلنا إلى الشبيحة، وهي تقليعة محلية سورية وظاهرة على غرار البلطجية والزعران، أعاد النظام الاعتبار لها، بحيث لم نعد نستهجن رؤية مظاهرات يمشي في مقدمتها المعلمون والمعلمات، تضم صبية المدارس وهم يهتفون: شبيحة دبيحة. بل والأسوأ أنهم باتوا مثالا منشودا للشبان المتعاطفين مع النظام، ومنهم طلبة جامعات يتشبهون بهم ويقلدون أفعالهم.

لن ترى أكثر حماسة ولا قسوة ولا غطرسة من الشبيحة، يهرعون بكل قواهم إلى سحق أي احتجاج سلمي بكل أريحية، وكلهم إيمان وجرأة، بأنهم يفعلون الشيء الصحيح، بموجب اعتقاد جازم أن هؤلاء الشبان خونة للوطن لمجرد أنهم يهتفون للحرية، وللشعب السوري الواحد، ولو أن قوات الجيش، لا تنقذهم منهم، وتعتقلهم، لذاقوا الأمرين. هناك من مات تحت أقدام الشبيحة، فيا لعظمة الذود عن النظام بهذا الأسلوب الوحشي!!

طبعاً، ما لمسناه غيّر رأينا بالأجيال الجديدة. كنا ننتقد دائما غربتهم عن السياسة وافتقادهم إلى حس وطني، وعدم الاهتمام بمشكلات سورية. ما يفعلونه اليوم، نحن عاجزون عن فعله، ويشعرنا بتقصيرنا تجاه البلد.

من حوار مع الروائي السوري فواز حداد مع جريدة السفير اللبنانية | أجرى الحوار: راشد عيسى

التلفزيون السوري يبث اعترافات لإظهار الانتفاضة في صورة مؤامرة إرهابية إسلامية وليست معارضة شعبية

■ أوليفر هولمز

تحاول وسائل الإعلام الرسمية السورية جاهدة إظهار الانتفاضة في صورة مؤامرة إرهابية إسلامية وليست معارضة شعبية واسعة النطاق لحكم الرئيس السوري بشار الأسد.

ويبث التلفزيون السوري مقابلات مع رجال يعترفون بأنهم ارتكبوا أعمال عنف وذلك بهدف تشويه صورة معارضي الأسد. لكن الكثير من السوريين يسخرون من هذه المقابلات وقالت معدة تلفزيونية سابقة طلبت عدم ذكر اسمها خوفا من انتقام جهة عملها السابقة منها- إن العديد من الاعترافات مفبركة.

وعلى الرغم من أنها كانت من أقوى المؤيدين المتحمسين للأسد قالت المعدة السابقة إنها منزعجة مما وصفته بحملة تضليل يقوم بها تلفزيون 'سورية' الرسمي.

وقالت لرويترز 'كنت أصل إلى العمل فيخبرني أحد المحررين أن لدينا شخصا للاعتراف'.

وأضافت 'بعض الرجال هم أناس عاديون اعتقلوا في مظاهرات مناهضة للحكومة وآخرون هم لصوص ومجرمون أوشكوا على إنهاء فترة العقوبة الصادرة بحقهم'.

وقالت 'قيل لهم إنه سيفرج عنهم إذا اعترفوا بالجرائم المفبركة'.

ومن بين من اعترفوا للتلفزيون السوري قصي شقفة وهو من مدينة حماة التي شهدت قتالا بين المعارضين وقوات الحكومة في الشهور القليلة الماضية ولها ماض طويل من المعارضة ضد الأسد ووالده الراحل حافظ الأسد الذي كان قد أرسل قوات لقمع انتفاضة هناك عام 1982 مما أسفر عن مقتل الآلاف. وقال شقفة (29 عاما) في البرنامج الذي بثه التلفزيون السوري إن المعارضين قتلوا أفرادا من قوات الأمن وألقوهم من فوق جسر. وأضاف أنه اتصل بصحفيين يعملون في وسائل إعلام أجنبية وأرسل لهم صورا مفبركة لمظاهرات سلمية مناهضة للأسد حتى يستخدمونها كدعاية ضد الرئيس السوري.

وحقق اعتراف آخر شهرة على نحو خاص في سورية بدا فيه رجل يدعى غسان سلواية من مدينة اللاذقية الساحلية ممتثلا لطلبات معد البرنامج.

وقال سلواية متلعثما وهو محاط بمسدسات ورشاشات وأسلحة ذكر مذيع البرنامج أنه عثر عليها بحوزته أنهم أحرقوا حافلات وقاوموا دوريات أمنية وان الأمر كله كان شغبا.

وقال نشطاء في المعارضة إن عائلة سلواية ذكرت أنه اعتقل قبل الانتفاضة لارتكابه جرائم لا علاقة لها بما يجري. وتحظر الحكومة السورية عمل وسائل الإعلام لذا يصعب التحقق من التقارير.

وتقول جماعات معنية بحقوق الانسان إن محتجين سلميين يطالبون منذ أكثر من عام بالإطاحة بالأسد يعتقلون ويتعرضون للتعذيب والقتل. لكن المعارضة السورية تلجأ بشكل متزايد إلى الأكمنة المسلحة وهجمات القنابل على رجال أمن الدولة واتهم تقرير لمنظمة 'هيومن رايتس ووتش' صدر في الآونة الأخيرة المعارضة المسلحة بالقيام بعمليات خطف وتعذيب وقتل.

ولم تتحدث قط وسائل الإعلام السورية الرسمية عن أي انتهاكات من جانب الحكومة لكنها بثت 'اعترافات إرهابيين' في أوائل العام الماضي عندما بث نشطون لقطات فيديو لقوات الأسد وهي تطلق النار على متظاهرين ولم يكن هناك مؤشرات كثيرة على وجود انتفاضة مسلحة.

ويسخر الكثير من السوريين سواء المعارضين أو المؤيدين للأسد من هذه الاعترافات.

وقال رامي (33 عاما) وهو موظف حكومي أجريت المقابلة معه عبر سكايب من دمشق وطلب ذكر اسمه الأول فقط لاعتبارات أمنية مثل باقي من تحدثت معهم رويترز في هذا التقرير 'لا أعتقد أن التلفزيون السوري يكذب في كل تقاريره لكن المعلومات التي تتضمنها هذه الاعترافات متضاربة بالفعل ومحيرة'.

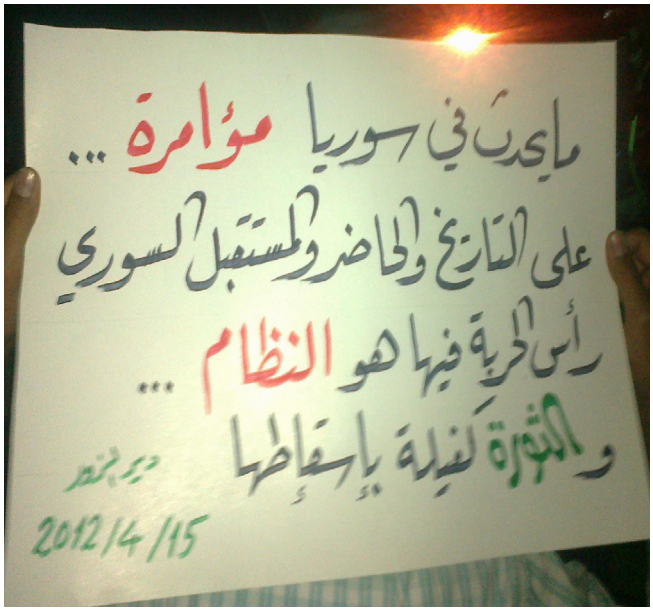

وقالت ريم وهي صحافية تبلغ من العمر 32 عاما إنها لم تثق قط في وسائل الاعلام الرسمية وترى أنها لسان حال الدائرة المقربة من الأسد لكن الاعترافات التي يبثها التلفزيون تمثل سقطة جديدة.

وأضافت 'إذا كانوا مجرمين بالفعل فيجب إرسالهم إلى المحاكم وليس إلى استوديو التلفزيون.. الاعترافات مضحكة جدا.. من الواضح أنها غير منطقية'.

واستطردت 'يطلب منا رؤساؤنا أن نختلق قصصا قابلة للتصديق. على سبيل المثال إذا كان لدينا رجل من مدينة معينة فنطلب منه أن يتحدث عن شوارع محددة أو يعترف بجريمة ارتكبت في الاونة الاخيرة في هذه المدينة'.

وقالت 'كان هناك بعض من الذين اعترفوا بدت عليهم آثار تعذيب لكنني لم أوجه لهم أسئلة كثيرة'.

وبثت قناة الدنيا الاخبارية المؤيدة للحكومة السورية في أواخر نيسان (ابريل) ما وصفته بأنه اعتراف 'إرهابي' يدعى علي عثمان يقول نشطاء إنه اعتقل في مارس آذار بعدما ساعد صحافيين أجانب على الفرار من مدينة حمص المحاصرة.

وبثت القناة دعاية للمقابلة التي تمتد لأكثر من ساعة قبلها بأيام.

ويسير مذيع الدنيا في إعلان البرنامج في ممرات مظلمة وتصدح موسيقى في الخلفية. ويدخل المذيع زنزانة يجلس فيها عثمان ورأسه بين يديه.

ويقف عثمان وتظهره اللقطة التالية جالسا أمام المذيع في غرفة مظلمة تسلط فيها الاضواء عليهما.

وتظهر على الشاشة عبارة 'تابعونا.. داخل بابا عمرو' في إشارة إلى الحي الموجود في حمص والذي قصفته قوات الحكومة السورية بعنف لانها تقول إنه يعج 'بالارهابيين المسلحين'.

وقال عثمان في المقابلة إن المشاركين في الاحتجاجات المناهضة للاسد تظاهروا بأنهم سلميون لكنهم كانوا يخبئون مسدسات في ملابسهم لمهاجمة أفراد الأمن.

ووصف عثمان كيف انه أدار مركزا إعلاميا في بابا عمرو وهرب صحافيين أجانب من وإلى سورية ونظم محتجين معارضين.

وقال نشطاء في المعارضة إن المقابلة أجريت تحت الإكراه وقال وزير الخارجية البريطاني وليام هيغ في بيان بعد اعتقال عثمان إن هناك تقارير تفيد بتعرضه للتعذيب.

وقالت المعدة السابقة في قناة سورية إن الكثير ممن اعترفوا بدوا خائفين.

وقالت 'كنت أتساءل في أحيان لماذا تريد (قناة) سورية أن يقدم الناس هذه الاعترافات.

'قال لنا كبير المعدين ذات مرة إن الهدف هو إظهار ان الحكومة تسيطر على الوضع وحتى يرى الاباء والامهات ما يحدث عندما يدعون أولادهم يعارضون الحكومة'.

وقالت عائشة وهي ربة منزل تبلغ من العمر 42 عاما وتنتمي للأقلية العلوية مثل الرئيس السوري إنه على الرغم من عدم تصديقها للاعترافات فإنها ترى أن لها فائدة.

وأضافت 'أشاهد الاعترافات مع أطفالي وأحاول إقناعهم بأنها حقيقية لأنني أريدهم أن يخافوا مما سيحدث إذا بحثوا عن المتاعب'.

عن القدس العربي 17 / 5 / 2012

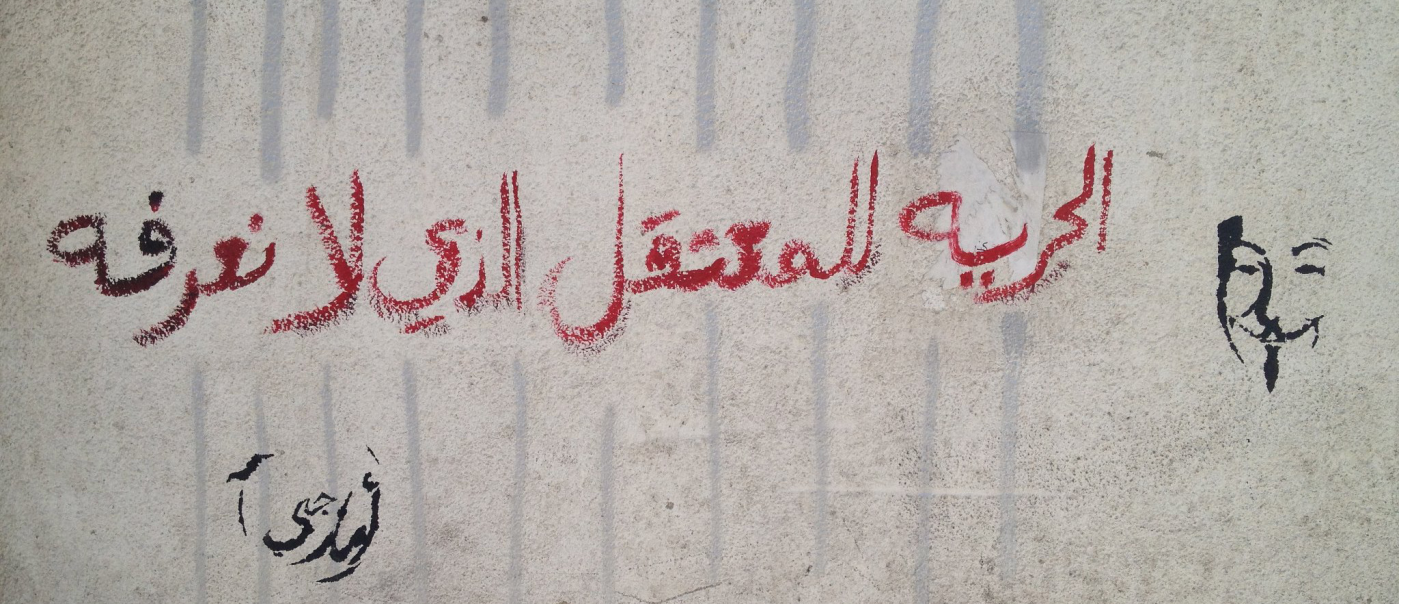

التاريخ حين يتجلى

■ فريق ثورة حياة

الإهداء: إلى نيرودا.. طفلي، وكل أطفال اللحظة الراهنة...

في هذا الزمن الرخو، متسع من وقت، للحديث عن جمهور، آثر الدخول إلى تاريخه، على الرغم من فوهة دبابة، كان يفترض بها أن تكون عتلته في الصعود إلى ما يشتهي. ثورة مضادة، كعادة كل الثورات المضادة، تعتلي أسطح عالية، وتطلق النار، بثقة الجبان، على الرؤوس العارية؛ وهاهي الرؤوس، تتساقط كالتفاح، موسم سقوط التفاح، فليفخر سادة الظلام، إذن، بالتصفيق، لانتصارهم السهل، والمؤقت.

استمناء إعلامي، كما يجب أن نسميه، يلتقط الحدث المغبرك، داخل أقبية التحقيق، الملوث بجنون القتل، ويعيد صياغته، وفق قواعد اللغة الركيكة، ليخرج للعالم حدث- مسخ، يعبر عن الموقف الوطني لأسياد الوطن. وماذا تريدون وضوحاً أكثر من ذلك، يقول المولودون من الخلف؟ لا شيء، فالجريمة- المشهد، كاملة المواصفات والوضوح، ولا تعليق على سوء الإخراج.

.. بيد أن لجنون القتل والنفاق الإعلامي المرافق له ما يبرره، فالأشباح السوريين، لم يعودوا أشباحاً، أصبحوا ماهييات تقرر وتفعل ما تقرره، وهذه الأشباح ذاتها كانت قد قررت عبر انتفاضتها، أن تتحول إلى مواطنين، إي إلى كائنات بشرية، تعرّف بفاعليتها وبقدرتها على ترجمة هذه الفاعلية التاريخية. وهو حدث مفاجئ حتى لأكثر العقول السلطوية شطحاً بالخيال. من أنتم؟ يردد الصوت السلطوي مرددا صدى جاره الليبي. ألم أقتلكم عبر أربعين عاماً؟ بلى قتلتنا بيد أنك نسيت أن تدفن أحلامنا، وأنت اليوم تقاتل حلمنا الجمعي، وتجلياته على الأرض.

ما يحدث على أرض البلاد العربية، أكبر حتى من مفهوم الثورة التقليدي، ما يجري فعل هدم لكل البنى الثقافية، والسياسية، والاجتماعية، وحتى النفسية، هدم لبنى تم تشكيلها عبر عقود، بما ينسجم ومزاج السلطان، وضمان استمراره في سدة القمع، وهو هدم لجدار الخوف والصمت المرافق له أيضاً، هدم لكل ما قنعوا الشعب به بأنه تابو مقدس، لا يصح سوى تقبيل حذائه؛ وهو أيضاً فعل بناء، ينطوي على إعادة تشكيل الهياكل التنظيمية للمجتمع، وإعادة بناء مؤسسات كانت قد فسدت بما فيه الكفاية، وهو أيضاً إعادة بناء للإنسان نفسه الرافعة التاريخية لمشروع التغيير.

وأما العنوان العريض لمشروع التغيير الجاري العمل عليه، فهو حق الشعوب العربية في أن تدخل التاريخ، تاريخها، لا أكثر ولكن ليس أقل. وأن تكون هذه الشعوب، فاعلة في بناء هذا التاريخ، لا منفعلة فيه. فهل نطلب الكثير؟

تأبى الذاكرة الجمعية أن تستعيد تفاصيل العقود الأربعة الماضية، إذ لابد للسؤال أن يقفز مباشرة: كيف صبرنا على مضي هذه العقود؟ كيف صبرنا على هذا الجحيم؟ من هذا السؤال السهل، والبسيط، يصبح التراجع والعودة إلى الوراء مستحيلا، فالقرار الجمعي اتخذ: لن نسمح لأطفالنا المقبلين إلى الحياة أن يكرروا السؤال، ويكرروا المأساة.

في هذه اللحظات من تألق الشعب في سياق فعله الإبداعي، ترصد عدسة التاريخ، انتقام أعداء التاريخ، أسياد الظلام... مندسين، ينعتون الشعب، ورعباً يرتجفون، من تحرك خطاه، المتباطئة، ولكن الثابتة. سلفيين.. يكررون، ويردد خلفهم صغار أزلامهم، مرتجفين بدورهم، مما ستحمله الأيام القليلة الباقية من فساد أيامهم الفاسدة، ويبحثون في وعاء اللغة الركيكة، عن مرادف للحظاتهم الأخيرة، غرر بنا الإعلام الرسمي، سيقولون بعد فوات الأوان، اصفحوا عن سفاهتنا، سيتوسلون الشعب، فات الأوان يعلن من يصنع ثورته.

فات الأوان، والأنظمة الحاكمة، في البلاد العربية ترتجف الآن... فشبح القوى المسحوقة لم يعد شبحاً، صار واقعاً، ومن حسن حظنا، نحن الأجيال المقبلة منذ قليل إلى الحياة، أن نشهد حدساً بهذه الضخامة، أن نشهد ثورة، في مرحلة أسقطت من مفرداتها مفهوم الثورة كما مفهوم حاملها، أي القوى المسحوقة، وهو إسقاط جريء، كان قد جرى العمل عليه منذ عقود، في سياق تحويل هذه النظم سيئة الصيت شعوبها إلى جمهور، أي أشباح، تكتفي بالتصفيق والتلويح.

طويت هذه المرحلة من غير رجعة، على الأقل هذا ما يشير إليه الحدث الراهن، فخلف المشهد الحالي لاحتدام الصراع، ينمو شيء من الصعب تجاهله؛ في الحقيقة تنمو ثقافة بدأت تغرس في الذاكرة الجمعية للأجيال الأقل عمراً، وهي ثقافة ترى في الفرد ضرورة مفتوحة على الفاعلية التاريخية للبشر، حتى وإن لم يكن هذا التصور متبلوراً على مستوى الوعي الشعبي إلا أنه بدأ بالتبلور على مستوى الممارسة.

تحتكم الثورة الدائرة على أرض الساحة العربية إلى التاريخ وليس إلى اللحظة الراهنة. وهي لهذا السبب بالتحديد لا تنظر بعين الربح أو الخسارة لما سيترتب على هذه الثورة، بل تنظر لما يمكن التأسيس له، في صنع مستقبل، حسم أمر قدومه، وهي ثورة تنطوي على إيمان عميق لدى الشعوب صانعة ثورتها، في قدرتها على ما تراه حقها المشروع في أن يكون لها الكلمة العليا، في صنع ملامح المرحلة. وهذا الإيمان ذاته من الصعب على الدبابة كما باقي الأسلحة التي تكشفت عنها المخيلة البشرية من زعزعته أو هز أركانه.

المجتمع السوري يولد من جديد، يولد في هذه اللحظة بالتحديد، لم يكن هناك من ولادة سابقة، أو بداية في مكان ما، إنها البداية الأولى والأكثر جذرية، إنها ما علينا أن ندعوه بالقطيعة التاريخية.

لا تمس المسألة مجرد إسقاط نظام على ما لذلك من أهمية، بل المسألة تمس نمطاً كان سائداً منذ عقود مضت. إن ما يصنعه الشعب السوري هو نهضة بكل ما للكلمة من اتساع، وهي النهضة الأولى في تاريخنا، وهي النهضة التي تستحق اسمها ومدلولاتها.

إن المخاض الذي نشهده اليوم هو نقض كامل المواصفات لعقود الانحطاط الماضية، بكل تفاصيلها وكل تجلياتها.

اليوم، واليوم فقط تختبر المفاهيم على أرض التجربة، وتختبر معها مفردات الحياة ذاتها، اليوم يتجلى المعنى في التاريخ، لا تاريخ بلا معنى، ولا معنى بلا إنسان صانع المعنى في التاريخ.

يبتكر اليوم السوريون أسطورتهم يتقدمون.. هكذا واثقين من اقتحامهم للتاريخ هو لأول مرة تاريخهم، وكل تاريخ قبله ساقط؛ متى وكيف اكتشفنا مفتاح اللغز؟؟ لا أحد يعلم بالضبط، كيف انبرت جموع السوريين تدافع عن حقها في الحياة، حقها في الحياة لا أكثر ولكن ليس أقل. ولكننا سنعلم فيما بعد أن زقزقة عصافير درعا كانت كفيلة بإيقاظنا، إيقاظ الروح النائم في أعماق قهرنا. وسنتذكر أن النداء أتى من هناك، من الجنوب.

سيتذكر السوريين جيداً تاريخ الخامس عشر من آذار باعتباره عام التحولات الكبرى، عام التغيير بامتياز. وهو ليس تغييراً شكلياً ولا مؤقتاً، بل هو تغيير جذري يسعى إلى حمل البنية الاجتماعية السورية من موقعها في هامش التاريخ إلى موقعها في قلب التاريخ.

وإن أهم ما سيجري العمل على تحويله هو كسر سلطة اللون الواحد على الحياة السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية، وتقدم طرف جديد في هذه المعادلة: الشعب. الشعب بكل قواه وتلاوينه.

من مجموعة ثورة حياة على فيس بوك

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (11377)

دمشق: 269
ريف دمشق: 1050
حمص: 4443
درعا: 1161
ادلب: 1876
حلب: 367
دير الزور: 422
الرقة: 47
السويداء: 7
حماه: 1396
اللاذقية: 217
طرطوس: 30
الحسكة: 70
القنيطرة: 21

716 عدد الأطفال الذكور
266 عدد الأطفال الإناث
452 عدد الإناث
814 عدد العسكريين
10563 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 19 / 5 / 2012
http://vdc-sy.or